عرفتهم .. على سلم المزيكا

شركة الدلتا اليوم للصحافة والنشر والتوزيع والدعاية
دار دلتا للنشر

رئيس مجلس الإدارة
المحاسب
أحمد التلاوي
الناشر
سليمان القلشي
مستشار النشر
أحمد سويلم
مدير النشر
محمد هشام عبيه

الطبعة الأولى
الكتاب: عرفتهم.. على سلم المزيكا
المؤلف: محمد العسيري
تصنيف الكتاب: فني/ اجتماعى
تنفيذ داخلى : محمود رمضان
تصميم الغلاف : إسلام الشماع
رقم الإيداع: ٢٠١٧/١٦٣٦٣
الترقيم الدولي: ٥-٣٠-٦٦٠٥-٩٧٧-٩٧٨

العنوان : ١شارع ابن مروان - أمام مجلس الدولة الدقي
التليفون : 02/37483557
email : delta4books@gmail.com

محمد العسيري

عرفتهم.. على سلم المزيكا

دار دلتا للنشر والتوزيع

إهداء

لبليغ حمدي .. الدمعة اللي فرت مني.
ولغنوتي المستحيلة .. بنتي اللي لسه مكتبتهاش

نهاوند.. فيما يشبه التقاسيم

من 30 سنة جيت مصر..

كان نفسى أبقى شاعر..

وكنت عايز أشتغل صحفى..

ومن سنة لسنة كنت بحاول أكتب الشعر والصحفى واقف على دماغى..

ولما كنت بمشي فى «شارع الصحافة».. ماكنتش عارف أنى ماشى بقلب شاعر..

آخر المطاف.. لا عرفت أبقى شاعر..

ولا قدرت أبقى صحفى..

رقصت على «سلم المزيكا»..

وما أكتبه فى السطور القادمة ليس سيرة لهذه السنوات الثلاثين.. وإن كان فيها ما يشبه السيرة.. وليست مذكرات لنجوم الموسيقى الذين عرفتهم فى تلك الفترة.. وإن كان فيها ما يشبه المذكرات.. هذه السطور هى «رقصة لرجل حاول أ ن يعمل فى شارع الصحافة».. بقلب شاعر.. حاول أن يكتب الشعر بعقل صحفى.. وكل من عرفهم يملكون أسرارًا للعالمين.. لكنه قرر أن يقف على الحروف الأولى من «المازورة» بإرادته.

هذه السطور صورة ليست مكتملة لـ 31 رجلًا وامرأة اقتربت منهم فى أغنياتهم.. عاشرتهم إلا قليلًا.. أحببتهم.. وغضبت منهم.. وغضبوا منى

أيضًا.. هذه الصورة تحتاج إلى رتوش أخرى من القارئ الكريم حتى يكتمل العزف.. تركت «مسافات» منقوصة بعمد- حتى لا يحدث النشاز. فالغرض لم يكن أبدًا- كشف الأسرار- بقدر ما كان «إنارة الطريق.. لدارس علم الاجتماع».. هؤلاء الذين أكتب عنهم زاعمًا أنني أعرفهم.. هم صورة من مصر فى السنوات الأخيرة من عمر القرن الذي مضى بكل تحولاته.. ربما يستفيد أهل العلم من مطالعتها.. فالموسيقى علم.. والغناء علم.. وحركة «السلم الموسيقى».. تسبق وتلي «السلم الاجتماعي» لأي بلد.

لقد كتب اللورد كرومر تقاريره السياسية المهمة لحكومته بعد معايشته أهل الموسيقى فى بلادنا.. وخطب عبد الله النديم على أنغام فرقة عبده الحامولي.. وحملت حنجرة منيرة المهدية منشورات «السعديين» إلى السودان.. واستبق سيد درويش الجميع وهو يعلن عن ميلاد نقابة «سائقي الكارو».. وخرج المصريون فى وداع «الوردانى» يهتفون ويعزفون خلف بطلهم «قولوا لعين الشمس ما تحماشى» ولست مضطرًا لسرد آلاف الوقائع التى تؤكد علاقة الموسيقى وأهلها بالسياسة وعلومها.. وبالاقتصاد وتداعياته.. بالحاضر.. والمستقبل.

لا أزعم ولا أدعى أكثر مما أعرف.. فقط هذه صورة منقوصة.. لأيام عشت جزءًا من تفاصيلها وقطعاً عشتم أنتم.. سادتى القراء.. باقيها.. الصورة مش ممكن تكمل إلا بيكم.

فشلت أن أكون صحفيًا.. وشاعراً.. عسانى استطعت فى هذه السطور أن أكون راقصًا جيدًا.

محمد العسيرى

علي الحجار..
ورد المحبة في السنين البور

أكثر واحد ممكن يتعبنى لو جيت أكتب عنه.. هو على إبراهيم الحجار.. فمن أي باب بالتحديد يمكنك أن تدخل لنجم يمتلك فى حنجرته نصف الغناء العربى وربما يزيد؟! عندما التقيته أول مرة فى عام 1990م كان قد غنى رباعيات صلاح جاهين و«أوراد فؤاد حداد» و«تجليات سيد حجاب» والتهم «جناين الأبنودى».. وفات على «غيطان عبدالرحيم منصور».. وقرب يخلص على بحيرات عصام عبدالله وجمال بخيت.. طب واحد بيغنى لكل دول.. أنت ممكن تقعد معاه إزاى وهتتكلم معاه فى إيه.. واحد واخد المشايخ من أول الحريرى.. وزكريا.. وعلى محمود.. ومخلص على سيد مكاوى.. وبيلعب كورة مع الموجى.. وفى وقت فراغه بيتسلى مع بليغ حمدى.. إيه اللى ممكن حضرتك تعمله مع واحد زى ده .

«كنت قد حصلت على موعد لإجراء حوار صحفى معه فى كواليس مسرحية يشاركه فى بطولتها صلاح السعدنى والميعاد اتضرب 3 مرات.. وقررت أن أنسى كل محبتى له.. وأروح أديله كلمتين فى جنابه وأمشى.. وبمجرد أن رأنى لقيته بيقولى وهو يتصبب عرقًا بعد نهاية العرض «أنا آسف جدًا يا أستاذ والله ما أقصد.. بس إنت لو لسه عندك رغبة نعمل الحوار.. تعالى نروح نسهر فى أى حتة بعيد عن وسط البلد، وفى السيارة عرفت إنه أحسن واحد يضرب مواعيد.. دون أن يقصد.. وأن وزير الثقافة فاروق حسنى كاد أن يجن فى يوم من الأيام بسببه لأنه لم يذهب لافتتاح حفل مهم.. وأن عشرات الأعمال المهمة ضاعت منه بسبب هذه الحفلة.. وأضاف ببساطة:

«أنا أبقى جايلك علشان نتقابل الساعة ٩ كل ما أتحرك ألقى واحد صاحبى أقول طيب أقعد معاه 10 دقائق تمد لساعة.. أتحرك ألاقى حد صاحبى غيره أقول أشرب معاه شاى ولسه باقى على ميعادك نص ساعة فجأة ألاقى الميعاد راح.. كان الحجار يعتذر لى وأنا الذى أقابله لأول مرة.. بشدة أخجلتنى.

وجلسنا نتحدث فى بهو أحد الفنادق الكبرى – لم يعتد السهر فيه ولا يعرف أحد أنه هناك – أربع ساعات حتى طلعت الشمس، والغريب أننا لم نجر أى حوار للنشر.. كان كل ما تحدث فيه لا يصلح للنشر، لكنه كان يتحدث معى بصفتى صديقًا جديدًا.. ولما اكتشفنا الأمر قال لى «اكتب اللى أنت عاوزه من اللى أنا قلته».. ولو عاوز تخليها صحوبية يبقى نتقابل بكره وسيبك من الصحافة.. وحدث.. لم أنشر شيئًا فى هذه اللحظة وأصبحنا صديقين.

«ظللت ألتقى به يوميًا من الثانية بعد منتصف الليل وحتى السابعة صباحًا لمدة ٥ سنوات قبل أن أكتب له أغنية واحدة.. وكان فى كل مرة يستمع إلى قصيدة منى أو من أحد أصدقائنا كان يسألنى: «هو إحنا مش هناكل عيش؟!».. وأرد «أنا مش بتاع أغانى».

تعودنا أن نسهر فى «أوديون» ثم انتقلنا إلى «كارلتون» ثم إلى الجريون وأحيانًا فى مكاتب ومنازل واستديوهات.. كنت معه فى تصوير وتسجيل «تجيش نعيش»... وحضرت كيف تم اختيار داليا البحيرى، كانت موظفة استقبال فى أحد الفنادق لتشاركه بطولة كليب الأغنية.. حضرت تصوير وتسجيل «مكتوبالى وذئاب الجبل» وعشرات الأغنيات.. سجلت له عشرات غيرها من أغنيات خاصة لم تصدر بعد.. شفته وهو يعانى ويدوس على نفسه من ألم الظهر وآلام أخرى أكثر حدة وشراسة.. شفته فى أيام سودا كانت الضرائب بتطارده بحفلات لم يذهب لها.. شفته فى لحظات سعادة نادرة بميلاد إبراهيم ابنه الذى سماه على اسم والده، أو بثينة التى سماها على اسم والدته، أو فى لقاءات عابرة مع جمهور فاجأه، وهو يخرج من منزله فى صباح باكر والأطفال

ذاهبون للمدارس، وعند اكتشافهم له يغنون «صلينا الفجر فين... صلينا فى الحسين».. وشفته أيضًا فى أصعب لحظات حياته وهو يودع والده عم إبراهيم، وهذا هو السر الأكبر فى حياة على الحجار.

أخبرنى «على» أن المخرجة علوية زكى تريدنى لأقوم بعملية «تصحيح لهجة» لمسلسل اسمه «رسالة قطر» تدور أحداثه فى الصعيد.. وتكاسلت عن الأمر فتصور أننى «أستعلى» أو أن الشاعر الذى يسكننى يرفض ذلك.. ولأنه شخص عزيز النفس جدًا خشى أن يصارحنى بذلك.. فأوعز لأحد أصدقائى وأخبره أنه طلب منى كثيرًا أن أعرض عليه بعض ما أكتب من أغنيات لكننى لم أفعل.. وأنه يخجل أن يطلب منى مجددًا.

فى اليوم التالى أخبرته أن ما أكتبه أشعر بأنه لا يليق به.. وأن الصوت الذى غنى لكل هؤلاء الأساتذة ماذا سأضيف إليه؟! فقال لى بغيظ وكان معنا الممثل محمد كامل «يا أخى أنا صعيدى أكتر منك.. والدى من بنى سويف وأمى من قنا أنا مولود فى إمبابة.. حد قالك إنى ممكن أجاملك فى شغلى».. وكان أن أهديته أغنيتين إحداهما من ألحان وجيه عزيز.. لكن وفاة منتج ألبومه فى حادث مفاجئ حالت دون ظهور أى من الأغنيتين - حتى اليوم بالمناسبة - وبعدها بأيام قليلة طلبت منى إذاعة الشباب والرياضة برنامجا غنائيا لرمضان.. كتبته وكان به حوالى 20 غنوة.. وعرضت الأمر على «الحجار» ولم أكن أتوقع أن يوافق على العمل بالإذاعة لكنه فاجأنى بأنه جاهز للتسجيل.. وانتقلت أجهزة الإذاعة لمنزل فاروق الشرنوبى حتى نستطيع اللحاق برمضان.. النكتة أننى فوجئت بذهابى للتجنيد قبل إكمال كتابة الأغانى.. وذهبت إلى برانيس - حته كده جنب حلايب وشلاتين - وكنت كل ليلة أتصل بفاروق أمليه ما كتبت ويعرض هو على الحجار ثم يقوم بتلحينه وتسجيله فى اليوم الثانى.. وعقب انتهاء العمل الإذاعى «ضى مصر» بأغنياته فاجأنى الحجار بأنه يريد أن نكمل ألبومًا كاملًا بنفس فريق العمل.. وأن أمامنا شهرًا واحدًا فقط حتى يصدر فى العيد.. يومها كان الحجار يقيم فى إحدى غرف فندق الماريوت.. وشعرت أننى

انتابتنى صدمة – أنا أكتب ألبوما كاملا لعلى الحجار؟!

وطلبت منه أن أكتفى بأربع أغنيات وأن يستعين بعم سيد حجاب لإكمال الألبوم، فقد اعتاد الغناء له فى سنواته التى سبقت ذلك ونجحا سويًا بشكل رائع واكتسب الحجار جمهورًا شابًا غير جمهور المثقفين بألبوم «تجيش نعيش».. والمراهنة على مؤلف جديد مثلى محفوفة بالمخاطر.. لكنه بعناد صعيدى وللمرة الثانية «يا عم أنت فاكر نفسك الصعيدى الوحيد فى البلد.. أنا صعيدى زيك.. وما يصحش حد يكمل اللى بدأته.. وعم سيد نفسه لو قتلته هيرفض.. وهكذا كتبت باقى أغنيات ألبوم «رمى رمشه».. وانتهينا من تسجيله فى استديو محمود ياسين.. ولم أتخيل أبدًا أن أبدأ تجربتى فى عالم الموسيقى فى ألبوم كامل لأهم مطرب عربى فى زمنى – هذه وجهة نظرى – وصدر الألبوم واحتل قمة المبيعات لثلاثة أشهر متتالية وأذيعت أغنيته الرئيسية فى كل المحطات بكثافة كبيرة.

سنوات طويلة أتعامل فيها مع هذا الرجل.. أعرف عنه كل كبيرة وصغيرة.. وشىء أساسى يحرك كل تصرفاته... احترامه لنفسه ولذاته وخجله غير المحدود.. لا يخجل الحجار من أن يحكى لك أنه بعد منع والده من دخول الإذاعة لم يكن هناك مورد رزق.. وأن السيدة الرائعة الراحلة والدته كانت تخيط هدومهم أكثر من مرة.. وأنه انتظر قميصه الوحيد المنشور على الحبل حتى ينشف ليذهب إلى موعده الأول مع صلاح جاهين.. لا يخجل الحجار أن يصف نفسه بأنه ابن تجربة «عبدالناصر».. ولولاه ما تعلم ولا دخل مدارس.. بالمناسبة الحجار أشول.. ورسام رائع ولديه معرض فن تشكيلى مؤجل منذ سنوات.. لا يخجل الحجار من الاعتراف بأنه «ضيع سنين من عمره بلا داعى»، وأنه ارتكب ذنوبًا يدعو الله أن يغفرها له.. ربما لو اطمأن إليك يحكى لك عن تجارب زواجه الخمسة، وحكاياته الصغيرة مع أولادة السبعة.. ربما يحكى لك كل شىء.. لكنه يخجل جدًا من أن تفاوضه فى أجر أو أن تمدحه أو أن تجامله.

«هذا الرجل الذى تجاوز سن المعاش بعامين.. الذى يغالب آلام عموده

الفقرى ليقف بالساعتين ليغنى لك فى الأربعاء الأخير من كل شهر فى «الساقية».. والذى يجلس بالساعات فى الاستديو الخاص به فى المقطم لينهى تسجيل القرآن الكريم.. ترك السهر فى وسط البلد من 14 سنة كاملة.. هذا الرجل يمكنك أن تضبط دموعه الممتنة لك لو أخبرته أنك تحفظ أغنيات عبدالله النديم مثلاً:

«يا لولا دقة إيديكى

ما انطرق بابى

طول عمرى عارى البدن

وإنتى جلبابى

طول عمرى يونسك صوتى

متونسه بحس مين

يا مصر فى غيابى»

على الحجار.. صاحبى وردة الأحباب.. هو «حس مصر لو كنتم تعلمون».. ولو ماكنتوش تعلمون برضه.. شيخى.. وعهدى.. ووردى.. ورد المحبة.. فى السنين البور.

«أنغام».. تُراب صوتها زعفران

فى القرى البعيدة لا يعرف الأطفال معنى لكلمة «النادي» سوى أنه المكان الذى تقام فيه مباريات الكرة.. كل القرى التى كنت أعرفها حينها ما كنش فيها غير نوادى الكورة.. وبالعافية ممكن تلاقى ترابيزة «بينج بونج».. فلما تطلع واحدة تقولك إنها رايحة تستنى حبيبها فى النادى.. يبقى أكيد هيبقى فيه بينك وبينها حاجز.. ولما كان الميعاد اللى كان صاحبنا مديهولها يطلع لسه ما جاش وباقيله يوم بحاله.. هتقول عليها عبيطة.. فى أحسن الأحوال مطيورة.. بس الغريب أننا لا عملنا بينها وبينا حاجز.. ولا قلنا عليها أى حاجة وحشة.. بالعكس انطربنا.. وقعدنا نسأل عن البنت الصغيرة النحيفة التى تتحدث عن ذلك «الركن البعيد» الذى صار موطنا لحبيبة لم تكن قد جاءت بعد.. وحينما رحلنا من قرانا إلى المدن الخشبية.. رحنا نبحث عن أبواب السينما.. وملاعب «الساحة».. و«ركن أنغام البعيد» فى نادى العاصمة.. حدث ذلك حتى قبل أن تكون هناك حبيبة «نعزمها على اتنين لمون».. ورغم أننا حينما أحببنا لم نستدعها لنحب على صوتها واستبدلناها بسميرة سعيد.. ووردة ونجاة.. إلا أننا اعتبرناها واحدة «قريبتنا».. ممكن نتكلم معاها «ونتونس بصوتها»..

وقتها نجح ألبوم «أنغام» بشكل غير محدود.. وصار المتحدثون فى الراديو والتليفزيون يبشرون بميلاد مطربة كبيرة من فصيلة أم كلثوم ونجاة وفيروز.. وصرت مرغمًا أتتبعها..

وظل الأمر مجرد ارتباط نفسى حتى ورطها «عاطف الطيب» فى دور فتاة الأحلام، وهو يخرج لها فيديو كليب «تحفة» لأغنية «شنطة سفر»

التى كتبتها شاعرة رائعة اسمها فاطمة جعفر- لا أعرف أين ذهبت بعد هذه الأغنية؟- وجاء بالنجم الشاب طارق لطفى ليلعب دور الحبيب الذى قرر الرحيل للغربة وترك «فتاته» فتاة أحلامنا وحيدة فى شارع المطار..

كنا نعرف السفر.. ومافيش بيت صعيدى ما فيهوش واحد مسافر. نعرف يعنى إيه غربة.. لكننا قطعًا لم نكن نعرف هذه اللغة فى الغناء.. كانت الكلمات جديدة ومختلفة عن أغنيات شادية ووردة.. «خليك هنا خليك وبلاش تفارق مثلاً»!!

بدأنا ننتبه.. وكان لعيوننا الحظ أن تشهد ميلاد هذه «السيمفونية» وهو تؤسس لأغنية لم تكن معتادة مع والدها الموسيقار الفذ محمد على سليمان.. الطيب: «صورة الأب الذى يقدم ابنته لعالم الموسيقى» تجاوزها الجميع وهم يترنحون معها:

«خد قلبى وهات قلبك هاته

يا بو قلب.. حياتى فى دقاته

الحب ده عقد من الياسمين

وقلوب العشاق.. حباته»..

لقد تسللت البنت «أم الضفاير» إلى مشاعرنا دون أن ندرى ونبنى لها بيتا فى ضلوعنا.. ولن تخرج بسهولة.. وكان أن أدمنت هذا الصوت..

فى بداية زواجى لم تكن «أم فضل» تعرف عاداتى فى السماع.. وكنت قد تعودت أن أبحث عن «الغنوة اللى بتزن فى ودنى حتى لو كنت نايم».. نغمة ما تطاردنى.. مقام موسيقى محدد يسيطر على أذنى لأيام حتى يستغرقنى تماما.. وكثيرا ما حدث أن قمت من نومى كالمفزوع أتسلل إلى حجرة المكتب.. وامرأتى تستغرب الأمر حتى تجدنى أدير الكاسيت وصوت «أنغام» يصدح..

وفى أول مقابلة لهما.. زوجتى وأنغام فى حجرتها فى كواليس مسرحية

«رصاصة فى القلب» اندهشت «أم فضل» من بشاشة أنغام وطريقتها فى التعامل.. فأدركت أنها «حالة خاصة» برجل يعشق الغناء وهذه مطربته المفضلة..

هل هناك عيب فى أن تكون لك مطربة مفضلة؟.. لا أحب صوت أم كلثوم.. وأعشق معظم أغنيات نجاة وفايزة ويأسرنى صوت وردة.. ويأخذنى عالم فيروز لمساحات غير محدودة من إنسانية أفتقدها.. وأكاد أشعر أنى فى حلقة زار عندما أستمع «إيها سوماك».. مطربة من عالم آخر.. صوتها آلات خشبية من صنع الطبيعة.. لكن أنغام وحدها يمكن أن تجمع كل هؤلاء فى صوتها، هكذا أتعامل معها.. مع صوتها تحديدًا..

لا أعرف فى أى شهر من عام 2002 حدث أن كانت أنغام ضيفة على برنامج بالقناة الثانية يعده عمر طاهر الذى طلب منى أن أعلق على ألبوم «سيدى وصالك» الذى كان قد صدر منذ ثلاثة أيام فى وجود أنغام.. وأثناء الحلقة حدث ذلك وفرحت أنغام بوجودى على الهاتف.. لكنها فوجئت بأننى غير سعيد بذلك التغير القسرى لطبيعة الموسيقى التى اعتدتها.. ورأيت أن بالألبوم اتجاها لا يليق بحنجرة أنغام نحو موسيقى غربية- وهذا ليس عيبا- لغرض لا يليق بأنغام وهو البحث عن «موضة موسيقية».. وغضبت أنغام.. وقاطعتنى لمدة عام ونصف العام.. كلما التقينا خاطبتنى بالأستاذ محمد!! وفى حفل توقيع ألبومها التالى «عمرى معاك» عزمنى محسن جابر على حفل افتتاح الألبوم وذهبت لمجاملته، وفوجئت أنغام بوجودى وبجوارى ملحن «سيدى وصالك وعمرى معاك» شريف تاج.. فلم تستطع أن تغالب زعلها منى.. وقالت «بص.. عمرى ما هنسالك»!! وضحكت كأنها تقول لي: «اصطلحنا.. بس مش هنسى»..

سمعت من أنغام الكثير أثناء أزمتها مع والدها.. وظن الرجل أننى أجاملها وأقف فى صفها ضده.. وحرصت طيلة ذلك العمر الذى استمر فيه الخلاف

على ألا أكتب حرفا عنه.. لكننى أعتقد أن أهم ما يميز أنغام هو «عنادها».. حتى مع نفسها.

فى شقة أنغام القديمة بميدان لبنان.. ستواجهك صورة عماد عبدالحليم – عمها – تشعر أنه الرجل الوحيد الذى احتواها كطفلة.. أخرج كل ما فى طفولتها من ألعاب وحين رحل رحلت معه هذه الطفلة.. من يريد أن يكتشف سر علاقتها بعمها عليه أن يسمعها وهى تغنى له رائعة «على مهدى وحلمى بكر»:

«فى قلبى جرح من الدنيا وعمايلها..

وأيامى اللى ظلمانى وبحايلها»..

تشعر أنغام بقيمة صوتها.. لكن السوق ولسنوات لم يكن تعرف قيمتها.. قيمة أن يكون لدينا صوت «ترابه زعفران».. صوت يشعر بالوحدة..

«أنا وحدانية ما مسح دموعي

غير طرف كمى...».

لكن هذا الصوت الوحدانى الذى يعرف قيمة نفسه.. عنيد.. لم تعمل مع منتج يختلف معها حول ما تقدمه.. لم تغن فى حفل لا ترتاح لمنظميه.. لا تذهب لبلد لا تشعر أنه يعرف أنها الملكة المتوجة.. هى ليست مغرورة على الإطلاق.. وإذا ما شعرت بالراحة مع محدثها يمكن أن تسرد له كل ما تخفيه من أول لقاء.. والدتها المطربة الإسكندرانية «أمل» بعازف الكمان الإسكندرانى محمد على سليمان.. ومرورًا بمجيئهما للقاهرة.. فى صوت أنغام وتصرفاتها معًا غموض بحر الإسكندرية.. وحدته ونعومته وشقاوته أيضًا.. وعناده..

عاندت أنغام ظروف السوق وغنت مقيدة لأمل دنقل فى وقت نغنى فيه لشعبان عبدالرحيم.. غنت لعصام عبدالله ووائل هلال وعزت الجندى.. حاولت دمج كل ما هو جديد فى الغرب مع أقرب نغمة شرقية.. ورأسها

مرفوع لا شيء يناطحه سوى تجربة فيروز.. تغنى لزكريا أحمد «القلب يعشق كل جميل».. وهى كذلك.. تغنى للموجوى وبليغ وكمال الطويل ومحمود الشريف فى الجلسات الخاصة.. وتأخذ من تجلياتهم ما ترى أنه «لايق عليها»، لكنها لا تتوقف عن البحث عن أغنيتها الخاصة.. ولهذا يمكنها أن تحتفظ لعشر سنوات كاملة بكلمات ما.. ثم تفاجئك بطرحها فى السوق.. لم تنزعج من نجاح اللبنانيات اللاتى نجحن فى «خطف السوق والموسيقى» وعمليات شد وجه مكشوفة واستمرت تغنى «ألقالك حد.. ساعدنى وأساعدك.. ما جبش سيرتى.. بعتلى نظرة.. ما بتعملش».. لكنها ودون أن تخبر أحدًا لم تتوقف عن التعليم حتى امتلكت زمام نفسها.. ولجام أغانيها فصار لها لونها.. وقصتها التى لا يمكن لأحد غيرها أن يفسرها.. لسنوات طويلة تناطح أهل الخليج لهجتهم.. وإيقاعاتهم الصعبة.. حتى صار كبار نجوم الخليج يتمنون مشاركتها أغنياتهم.. لم تشعر بالغيرة من ذكرى – ذلك الصوت الربانى الفذ – بل ناطحتها الغناء فى دويتو نادر.. وكذلك تفعل مع أصالة كثيرا.. تحب شيرين ومى فاروق وتتحيز لكل ما هو مصرى بشرط.. أن يكون حقيقيًا..

لم تعد أنغام تلك الفتاة التى تذهب لمواعيد حبيبها مبكرًا فى الركن البعيد الهادئ.. صارت أمًا لعمرو عبدالرحمن.. وناظرة لمدرسة باسمها فى الغناء العربى.. وما زلت أبحث عنها وعن صوتها «فى نصاص الليالي».. ولو مش مصدقنى أكتبلك تعهد..

وردة الجزائرية..
سكة سفر

«ع الغربة..

راح نبدى كلامنا ونقول الليلا دي

ع الغربة..

دم الغربة.. ياما شفنا كتير يا بلادي..

سكة سفر..

وليل وطريق.. ونجوم وقمر..

وجرح الريح.. لورق الشجر..

وافتكرتك يا حبيبي..

وانت جنبى يا حبيبي..

فى سكة سفر..»

هذه الكلمات التى كتبها بليغ حمدى ولحنها.. ولم تصدر فى ألبوم ولم تغنها فى حفل عام.. لم تكتمل.. وقرر بليغ أن يضع محمد حمزة كلامًا جديدًا على اللحن لتغنيه نجاة.. وظلت الكلمات القديمة.. مع 12 لحنًا أخرى كتبها لها.. لها وحدها.. هى وردة.. المرأة الوحيدة التى ظل يحبها – رغم افتراقهما – حتى يوم وفاته.

سكة سفر.. هى رحلة وردة الجزائرية ذلك الصوت القادر..

والحنجرة التى تشبه خريطة الوطن العربي.. سكة سفر بها مئات الحوادث.. والحروب.. والرجال.. من باريس.. إلى بيروت.. إلى الجزائر.. إلى القاهرة.. سكة سفر موجعة، ومؤلمة.. وسعيدة فى أوقات قليلة ربما كانت أجملها مع أحفادها فى منزلها بالجزائر.. أو مع «قطتها وخادمة منزلها فى شقة عبدالعزيز آل سعود بالمنيل».

كنت قد ذهبت إليها وفى رأسي.. سؤال وحيد.. عن تلك الأغنيات المجهولة التى كتبها ولحنها وأرسلها لها بليغ عبر وسطاء.. وظلت حبيسة لسنوات لا تريد أن تفرج عنها. عملت نفسى ناصح.. كانت قد قررت التعاون مع شباب جدد من الملحنين بعد تجاربها مع صلاح الشرنوبي.. وصدر لها ألبوم لحنه وليد سعد وناصر فخرى وآخرون.. لكنه لم يحقق نجاحًا.. فسألتها.. وليد سعد فيه ريحة بليغ فقالت: «وليد ملحن شاطر جدًا.. وهتشوف هيعمل إيه الأيام الجاية».. فقلت وصلاح الشرنوبى أيضا من أبناء بليغ المدهشين.. فأضافت: «صلاح مدرسة لوحده.. وكل اللى فى العالم العربى كل واحد عنده حاجة بتاعته» بس ما فيش حد.. ومش هيكون فيه حد زى بليغ.. فقلت على الفور: «ولماذا لا تفرجين عن الألحان التى أرسلها لك.. ولم تشأ أن تسألنى وعرفت إزاى إنها عندي.. فقط طلبت لى الشاى وأضافت: «بص.. الألحان دى عملها بليغ لوردة.. مش للمطربة وردة.. هوه بعتهالى مش عشان أتاجر بيها.. لو كان عايز.. كان قالى تعالى نغنى الحاجات دي.. أو خدى اعملى اللحن ده.. وأنا مش هتاجر ببليغ»!!

لم يكن بليغ هو الوجع الأكبر فى قصة وردة الجزائرية.. لكنه كان الطريق الطيب.. الذى قسا عليها فى لحظة جنونية رغم أنه يدمنها.. وأوقع أولاد الحلال بينهما فى لحظة صعبة.. فحملت حقائبها وتركت أبوظبي.. وعادت للقاهرة تطلب الطلاق.. وفى اعتقادها أنه سيعلن زواجه فى اليوم التالى من تلك المطربة المغربية الشابة التى تركته معها فى أبوظبي.. لكنه لم يفعل وظل يحاول العودة لها.. فلم تذهب إليه إلا لتقف بجواره فى أيام مرضه.. ولتغنى له لحن وداعه:

«بودعك.. وبودع الدنيا معك»

وردة التى صحت عيونها طفلة على والدها المناضل الجزائرى الذى يقيم فى باريس ويملك محلا للموسيقى والطعام.. لم تدرك وهى طفلة «يعنى إيه غربة».. فقط كانت تفرح بأن أصدقاء والدها يحملونها لتقف على خشبة ذلك المسرح الذى لم تكن تعرف أنهم يخبئون الأسلحة أسفله إلا عندما هبط بها «الخشب».. يومها عرفت يعنى إيه سلاح.. ويعنى إيه والدها يتم تجنيده فى بيروت ليحارب لصالح جيش لم يكن جيش بلاده.. لكنه هناك تعرف على والدتها وتزوجها.. وربما لم تشعر فى ذلك الوقت أن الغربة والحرب شيء سيئ.

بعد سنوات سافرت إلى أهل والدتها.. وعاشت هناك حتى جاء من ينصح صاحبة هذا الصوت الفنى بأن تذهب للقاهرة.. وجاءت صاحبة الصوت «الألماظ» لتؤدى دور «ألمظ» فى فيلم عبده الحامولي.. ولتعرف الطريق إلى موسيقى وقلب بليغ حمدي.. لكن الرجل الذى كان ينتظرها فى الجزائر – وكان من رجال السلطة – تزوجها وحبسها فى منزله برغبته وموافقتها لتنجب الأطفال– عشر سنوات عاشتها وردة فى منزل الجنرال.. ولم يفكر بليغ حمدى فى الزواج من أخري.. أو بالأحرى فى حب أخري.. لأنه قرر فى يوم ما أن يتزوج من ابنة عبدالوهاب ومن صباح.. لكنه الحب.. والسفر.. والنصيب.

فى أحد الاحتفالات لعيد الثورة فى الجزائر.. قرروا أن تعود وردة للغناء تحية لجيش وثورة بلادها.. وأن يذهب بليغ إلى هناك ليلحن «الاحتفال».. وليعود بصوت وردة وقلبها. وحينما عادت للقاهرة «أم العيون السود».. غنت له أو غنى لها ومعها:

«قد العيون السود بحبك».

ولم يكن الأمر هينًا.. ولم تكن العودة هينة مع رجل مجنون بالموسيقى والسفر والفوضي.. لم ينس ميعاد زواجها كما نشرت الصحف.. هذه ليست القصة الحقيقية.. لكن الحقيقة أنه كان مترددًا لآخر لحظة.. هذا ما كانت تعتقده..

ولأنهما لم ينجبا طيلة سنوات زوجهما.. ولأن أنباء كانت تسربت عن إسقاط وردة لجنين كان بليغ ينتظره منها.. ظل الرجل حتى آخر لحظة فى حالة توتر.. وظلت هى على يقين أنه سيتركها ويرحل فى يوم ما.. لامرأة جديدة.. أو لحن جديد.

لم يكن بليغ يستطيع مقاومة وردة.. أو رفض أى طلب لها.. كان قد أعجبها لحن وضعه بليغ فى فيلم قامت صباح ببطولته مع وديع الصافى.. وكانت الدراما تقتضى أن تكون الأغنية لرجل يتحدث عن حبيبته «على رمش عيونها» التى جاء حبيبها السابق ليخطفها منه قبل يوم فرحهما.. وكان من المستحيل أن تغنى وردة اللحن.. لأنه يتحدث بلسان رجل.. لكنها لا تعرف ذلك.. هى تريد اللحن ولا علاقة لها بالكلام.. ولو ضرورى يبقى الكلام يتغير.. وحدث ذلك بالفعل.. أعاد بليغ وضع كلمات جديدة وجاءوا بسمير صبرى ومخرج تليفزيونى وسجلت وردة وصورت الأغنية الجديدة التى عشقت لحنها.. نفس الأمر تكرر مع لحن آخر كان قد صنعه بليغ لسميرة سعيد وسجلته وصورته بالفعل هو لحن «بنلف».. لكن وردة قررت أن تغنيه.. وحدث وأعاد بليغ اللحن بآلات جديدة وغنته وردة وصورته كذلك.

لم يكن أحد يستطع أن يقف أمام رغبات مطربة أعطاها الله كل هذه المواهب.. حتى الإشاعات لم تستطع هزيمتها.. قالوا إنها على علاقة خاصة بعبدالحكيم عامر.. ووصل الأمر لجمال عبدالناصر.. لكن الحقيقة عرفت وباظت خطة الانتقام منها.. كان شقيق عبدالحكيم عامر يسكن فى نفس العمارة التى تسكنها.. وكان المشير يذهب لشقيقه.. لكن أحدهم سرب إلى صحفى لبنانى الأمر على أن المشير يذهب لوردة وأنه تزوجها سرًا.. ومثلما لم تستطع الإشاعات أن تغلبها.. لم تستطع امرأة كيادة أن تتسبب فى ترحيلها بعد إشاعة أنها «سكرت» فى حضرة مبارك فى آخر حفلاتها بالقاهرة.. ولم يكن الأمر كذلك فقد كانت قد تعرضت لمرض السرطان.. وحصلت على حقنة قبل أن تصعدت المسرح لأنها لم تستطع أن تعتذر.. وردة التى غابت لأربع سنوات

لأن المرض اللعين ذهب إلى وجهها.. تحملت عذابه.. ومفارقة أحبابها ولم يكن بجوارها سوى بعض الأصدقاء وشقيقها مسعود.. وأحفادها.

كأنها تعودت المقاومة.. وتحصنت.. ولذلك انتصرت على المرض اللعين وعادت لتغنى وتمثل مع إبراهيم عبدالفتاح ورياض الهمشرى وفاروق الشرنوبى وشقيقه صلاح فى «أوان الورد».. ولتذهب مجددًا إلى بيروت.. وإلى حفلات المجتمع وأفراحه.. وكأنها تطارد غربتها.. وتستعيد ما سلبه المرض منها.

فى السنوات الأخيرة.. استعادت وردة كل شيء.. كانت تتابع أصالة وفضل شاكر وشيرين وأنغام ومنير وهم يقدمون أغنياتها فى شكل جديد.. فتفرح.. وتؤكد لكل من يسألها.. «هما بيغنوها أحلى مني».. من أين جاءت هذه السيدة بكل هذه القدرة على التسامح والتواضع.

فى إحدى سنوات السبعينيات.. ربما كانت 76.. لا أستطيع أن أجزم.. لكن منير والحجار وتوفيق فريد يستطيعون.. قررت وردة لأن عبدالحليم أخذ من وراء ظهرها لحنا كانت تريده من بليغ.. أن تؤسس شركة إنتاج.. طبعا اللى أسس الشركة بليغ زوجها.. وذهبت هى بنفسها لاختيار أصوات جديدة من معهد الموسيقى وفرقة أم كلثوم لمنافسة عبدالحليم.. جاءت بالحجار وتوفيق والحلو.. وانضم لهم منير.. وجاءت لهم بأغنيات.. وحينما تصالحت مع عبدالحليم نسيت الموضوع كله.. إنها امرأة جبارة بلا شك.. تعرف ما تريد.. وتعرف أيضا متى تستخرج قواها الكامنة.. العناد.. والغيرة.. والصبر.. وبهذا الثلاثى قاومت العمر والمرض والغربة حتى رحلت.. ليظل لها كل هذه الحدائق.. التى نمرح بين أوراق ورودها حتى نستطيع أن نتنفس!!.

محسن جابر..
صانع النجوم والذكريات

طول عمرى مش بحب ألبس بدل.. وتخنقنى «الكرافتات»، لكننى مضطر أن أفعل ذلك فى المواعيد والمناسبات الرسمية.. ولو كان الأمر بيدى لأحرقت من صنع هذه «الخنّاقة» بجاز وسخ.. المهم المضطر يركب الصعب ويلبس بدلة وكرافتة.

ولأننى اعتدت أن أكون حرًا وبسيطًا.. وأى هدوم تقابلنى فى سكنى ألبسها.. كان من الطبيعى أن أكون كذلك فى ذلك المساء من أحد أيام شهر يوليو عام 2005.

كان الخال تجلى كثيرًا عن علاقته بعبدالحليم حافظ، وفى كل مرة يضيف شيئًا جديدًا عن قصة بداية هذه العلاقة، وفى كل مرة يكشف الأبنودى كيف أن العندليب تواطأ مع بليغ حمدى ضده حتى يستطيع خطفه من مطربه المفضل محمد رشدي، وفى كل مرة يحكى فيها القصة، وتتغير فيها الحكاية يظل رجل ضخم اسمه مصطفى العريف حاضرًا وموجودًا بقوة.

يقول الأبنودى إنه وبعد نجاح «تحت الشجر»، كان يسجل مجموعة جديدة من الأغنيات فى الاستديو مع بليغ حمدي، ودخل مجموعة من الرجال الأشداء، اقتادوه تحت سمع وبصر بليغ حمدى الذى كان يضحك بشدة، حتى ظن أنه «فرحان فى أنه هيخش المعتقل»، وظن الأبنودى أنهم مباحث، بسبب تجهم «العريف» وعدم كشفه له عن وجهته، ولا «رايحين بيه فين ولا عمل إيه».

ولما استقروا به فى شقة عبدالحليم، وخرج العندليب ليجد نفسه أمام

الأبنودي، انفجر الأخير الذى راح يجرى وراء العريف يريد الانتقام منه.

طيب مين مصطفى العريف ده، ولو عرفت أنه بيدور عليك، وكل اللى يقابلك يقولك «مصطفى العريف قالب الدنيا عليك»، أنا حصل معايا ده.

كنت قد دخلت فى خناقة صحفية مع عمرو دياب، ووصل الأمر إلى صدور حكم بحبسى ستة أشهر، وفى الدرجة التالية من التقاضى تنازل عمرو عن القضية قبل أن يذهب إلى «خبير الأصوات»! وظننت أن العريف هذا رجل من رجال عمرو، خاصة أن كل الذين سألونى عن علاقتى بالرجل وسر بحثى عنه، لهم علاقة ما بالشركة التى تنتج أعمال «الهضبة»، المهم، خدت توبى فى سنانى وقلت أروح له أنا، ووقوع البلا أحسن من انتظاره.

وحينما قابلته ضحك، وعرفت أن هذا الرجل الضخم لا ضخم ولا حاجة، وأن الجريمة الوحيدة اللى عملها فى حياته هى خطف الأبنودى لصالح عبدالحليم وبترتيب مع بليغ حمدي، وأنه قريب لكمال الطويل، ويعمل فى شركة محسن جابر وأنه لا يعرفنى من الأصل وإن كان سمع إنى صعيدى وراسى ناشفة، وأن من يريدنى هو محسن، وماجاش فى باله إنى «حاجة نحيلة ورفيعة كده»!!

فى ذلك اليوم من سنة 97، عرفت محسن جابر، رجل مبتسم، ذكي، يملك صندوقًا للذكريات لا حدود له، كان الرجل وقتها هو منتج عمرو دياب، واختلفا، لكنه كان يملك خطوط إنتاج لعشرات غيره من المصريين والعرب.. وردة، هشام عباس، مياده الحناوي، لطيفة، سميرة سعيد، فى الوقت نفسه هو يعمل فى «الإعلام».. كان يصدر مجلة مزيكا بالتعاون مع عمرو الليثي، وحصل على ترخيص أول قناة مصرية متخصصة فى «الموسيقي»، وحصل على ترخيص إصدار صحيفة يومية باسم «العربية»، وظننت أن الرجل يريدنى فى أى أمر يخص الجريدة أو المجلة.. لكنه فاجأنى:

«أتابع ما تكتبه منذ فترة، وكلما سألت عنك، عرفت أنك رجل دوغري، ولما

هاجمت أكثر من ألبوم لنا.. كنت فاكر أنك مزقوق علينا من حد، فلما تأكدت أنك رجل يكتب ما يريد، وأن ما تكتبه حقيقى فى غالب الأحيان، قررت أن إحنا نبقى صحاب!! فقلت له بهدوء: «ومالقيتش غير مصطفى العريف تكلفه يدور علينا»!

اقتربت كثيرا من الرجل رقم واحد فى صناعة الكاسيت فى البلاد، وكنت فى كل مرة أشاهده فيها يحكى له قصته مع أحد عمالقة الموسيقي، بدون قصد كان يحدث ذلك، ولأننى أدركت ما يجلس عليه من كنوز أسرار، كنت أسأله كثيرًا، وكان يحكى بمودة بمجرد أن يتأكد أننى لا أفعل ذلك من أجل النشر.

كان رحيل عمرو دياب عن شركة جابر حدثا إعلاميا كبيرا وضخما، المفروض أنه يزعل، وأنه يطلع القطط الفطسانة فى مطربه الذى تركه وذهب للشركة الخليجية إياها، لكنه لم يفعل «عمرو أخويا الصغير، الشغل رزق، هو عايز يشتغل فى حتة تانية مافيش مشاكل، طالما ماضرنيش فى حاجة أنا أتمنى له الخير».

بهذه الأريحية يتحدث دومًا عن منافسيه، لم يعد له منافس الآن فى السوق، أو عن مطربين وقف بجوارهم وتركوه للحصول على أموال أكثر من شركة، قرر احتكار السوق كله، بالمناسبة استطاع هو فى وقت ما أن يشترى من تلك الشركة نصيب عدد من الشركاء الكبار، واستحوذ كل إنتاج صوت الفن التى كان يملكها عبدالحليم وعبدالوهاب.

سألته مرة، كيف كنت تستطيع السيطرة على بليغ حمدي؟!

فضحك «ومين قالك إنه كان فيه حد يقدر يسيطر عليه؟! أبدا أنا كنت فى كل مرة أعمل حسابي، أبقى حاجز الاستديو فى اليونان، وبليغ هيجى من باريس، وميادة من سوريا، كنت أخلى محمد سلطان جاهز أو عمار الشريعي، بألحان كل منهما، يعنى أحجز الاستديو للتلاتة، بليغ جه فى ميعاده وسجل والشغل عاجبه وخلاص تمام، نكمل مع عمار وسلطان، ماجاش وضرب

الميعاد، أخش أسجل شغل الاتنين التانيين، وكده».

ذكاء محسن جابر فى التعامل مع الناس هو سر نجاح «مزيكا وعالم الفن»، رجل بسيط لكنه ذكي، جاء مجرد شاب من طنطا، يحب التجارة، جاب القصة من أولها، يعرف سر مهنته من أول «الكرتونة اللى بيعبوا فيها الشرايط، لحد كل كلمة تايهة فى قانون الملكية الفكرية».

اشتكى عدد من رجال الأعمال الكبار منهم أحمد بهجت فى بداية ظهور القنوات الخاصة، وأعلن بعضهم فى الكواليس أنهم اشتروا هذه القنوات عافية، إرضاء لصفوت الشريف، ولما رحل وجاء البلتاجى لم يستطع مقاومتهم فتخلصوا منه، يومها سألت محسن جابر، لكنه كالعادة لا يكشف لك من الأسرار إلا ما يريد، وبعيدًا عن أسرار تلك المرحلة توقفت أمام جملته «هما الكسبانين»، يومها قال لى الرجل «الشاشة هتاكل كل حاجة، والاتصالات هى المستقبل، بكره هتشوف الأغانى على موبايلك، وفى عربيتك» لم يكن هذا قد حدث – لكنه حدث الآن، ولهذا أعتقد أن جابر كان ذكيا عندما اخترق مجال «خدمة الاتصالات»، مثلما كان ذكيا عندما «لف العالم» ليحصل على حقوقه من «الرنج تون»، هو الوحيد فى مصر الذى استطاع أن يحصل على بعض حقوق مبدعيه من النشر الإلكترونى ولا يزال يجاهد.

سر آخر يجب أن تعرفه عن جابر، هو يعرف «الوقت المناسب جيدًا»، لقد كسب محسن من ألبومات «فاطمة عيد» ولم يكن أحد يتخيل أن مطربة شعبية ممكن تكسر الدنيا وتوقف السوق على رجل «أنت عارف مقر الشركة القديم فى التوفيقية، كانت الطوابير بتاعة متعهدى الشرايط بتوصل لحد ميدان رمسيس، قعدنا يومين مش عارفين نلاحم طلبات المحلات، وصار منير الوسيمى وجمال سلامة لا يتوقفان عن العمل بعد (هشكيك للقاضي.. ولا تجيبلى شيكلاتة) الناس كانت فى حاجة لهذا النوع وقتها».

محسن جابر الذى استطاع السيطرة على فايزة أحمد لسنوات، وظل ينتج

لوردة الجزائرية لسنوات، وعمرو دياب لسنوات، نجح بنفس الطريقة فى تقديم «نادية مصطفي»، ونجحت ألبوماتها معه، لكنه فى يوم من الأيام لم تستطيع إقناعها بغناء «سيبولى قلبى وارحلوا».. وأدرك أنها تملك الصوت الذى يؤدى ذلك اللحن العبقرى الذى وصفه عمار الشريعى.. لكنها «مش حباه».. وبنفس الطريقة تعامل هو مع كل ما يفعله «لازم تحب الحاجة اللى بتعملها».

أغلق مجلة مزيكا، لأنه لا يحب الخسارة، وجريدة أخرى طبع منها عددًا تجريبيًا مع عمرو الخياط، وقناة «زوم»، فى الوقت الذى يجرى فيه الكثيرون على شراء القنوات، هو يعرف الوقت المناسب، صناعة الموسيقى تمر بمرحلة «رقمية جديدة من وجهة نظره»، ولذلك اكتفى بقناة مزيكا.

سر آخر يجعل الرجل واحدًا من أهم صناع النجوم والذكريات فى بلادنا، هو «العناد»، محسن عنيد جدًا، وكتوم جدًا، عرف منذ وقت مبكر عندما كان مع فايزة أحمد فى لندن أهمية أن تجرى كشفًا طبيًا كاملًا كل فترة، فذهب وفعلها، واكتشف الرجل فى الوقت المناسب إصابته، وظل يقاومها دون أن يعلم أحد لسنوات، تراه يعمل، ويضحك ويجرى الصفقات، يتعامل مع ملوك ورؤساء وعازفين، ولا أحد يعرف أنه يقاوم «تعبًا ما»، حتى شفاه الله.

حدثته آخر مرة منذ شهور لنجلس ونسجل بعضًا من ذكرياته عن شخص ما، نجم ما، فوعدنى أنه بعد عودته من العمرة، هنقعد، منذ سنوات، والرجل الذى جاء من طنطا يذهب إلى بيت الله الحرام فى نفس الموعد.

لا يؤخر هو موعدًا حدده لنفسه أبدًا، ولا يتوقف أبدًا أمام ذكرياته مع رجال السلطة والمال، والفن، فقط يفكر فى «التراك الجديد» الذى سوف يعيش عليه، هو الآن يجهز ابنه محمد، لا ليغنى أو ليخرج الفيديو كليب ولكن ليكمل قصة، قصة أحد أهم صناع الموسيقى فى مصر، قصة أتمنى أن أكتب كل تفاصيلها، حتى لو تعرضت للخطف على يد رجل ضخم مثل الراحل مصطفى العريف.

«الأبنودي».. يونس في بلاد الشوق

طول عمرى مش بحب ألبس بدل.. وتخنقنى «الكرافتات»، لكننى مضطر أفعل ذلك فى المواعيد والمناسبات الرسمية.. ولو كان الأمر بيدى لأحرقت من صنع هذه «الخنّاقة» بجاز وسخ.. المهم المضطر يركب الصعب ويلبس بدلة وكرافتة. ولأننى اعتدت أن أكون حرًا وبسيطًا.. وأى هدوم تقابلنى فى سكتى ألبسها.. كان من الطبيعى أن أكون كذلك فى ذلك المساء من أحد أيام شهر يوليو عام 2005. كنت قد دخلت إلى مكتب الصديق أحمد طه – المخرج المسرحى ومدير المكتب الفنى للوزير أنس الفقى حينها.. فى الدور التاسع بمبنى ماسبيرو العريق.

كان أحمد طه قد اتصل بى وأنا فى الطريق للمبنى.. واستعجلنى لأنه يريدنى فى أمر مهم.. وبمجرد أن دخلت عليه فاجأنى: عايزينك تنزل الدور الأول.. د.عمرو عبدالسميع مستنيك.. فيه حلقة مهمة عن صناعة الأغنية الوطنية ومطلوب إنك تشارك.. الرجل يريدك.. فاعتذرت أنى «مش لابس كويس».. وكان الرد فى ثوانٍ من الفنان محمود فرماوي.. الذى منحنى «جاكت» رائعًا وشيكًا مثله – محمود من أمهر مهندسى الديكور فى مصر – ولم تعد لى حجة.. ونزلت من التاسع للدور الأرضي فورًا لأجد عمنا عمرو عبدالسميع مستنينى فى الطرقة.. وبمجرد دخولى الاستديو فوجئت بوجوده.. كان يجلس على المنصة المقابلة لي.. وبجواره صلاح عيسى وإيمان البحر درويش.. فيما أجلس فى الصالة أمام المشاركين من الجمهور ومعى الشاعر الزميل إبراهيم داوود.. والراحل عبدالله كمال.. وأدركت لحظتها أن عمرو عبدالسميع وضعنا فى

مواجهة مع الخال عبدالرحمن الأبنودى ومن معه.. «إحنا صوت الناس.. وهم صناع الأغنية الوطنية».. هكذا يقول شكل المسرح.. المهم أننى كنت على خلاف مع الخال.. لم أحدثه طيلة 3 سنوات قبل هذه الليلة.. ولم يكن الزعل من طرفه.. بل من طرفى.. والأمر لا يخفى هو مجرد موضوع صحفى عن حق أولاد جابر أبوحسين فى عوائد مطبوعات وألبومات السيرة الهلالية التى أملاها والدهم - بلدياتى - للخال.. والذى قال عنه فى مقدمة أحد خطاباته لأحدهم: إذا كان صلاح عبدالصبور بالنسبة للشعر «حمام سباحة».. فجابر أبوحسين هو نهر النيل.. فكيف لا يحصل هذا النهر وأسرته على مليم.. وهم كانوا يتعشمون - مثلى - فى تدخله لدى أخبار اليوم وأحد الناشرين وشركة الكاسيت ليحصلوا على ما يعتبرونه حقهم!! ولأنه انشغل عن ذلك قاطعته.

المهم.. كنت مستفزًا بلا حدود فى تلك الحلقة.. وكان الخال كعادته رائعا لأبعد الحدود.. وبعد الحلقة ذهبت لأسلم على إيمان البحر.. وبمجرد أن انتهيت نحيت وجهى فى طريقى للانصراف فإذا به «يندهني» - «يعنى كمان مش عايز تسلم على خالك.. إيه الربابة دي».. وقطعًا لم أستطع أن أبتعد.. وهو يفتح لى ذراعيه ويحتضنني.. ويسألنى عن أسرتى وابنى وأحوالهم وأحوالي.. ثم يضيف: «كلمنى.. واسأل عليا.. عيب كده»..

كنت قد عرفت الخال قبل هذه الواقعة بحوالى عشرين سنة.. وعرفته بعدها سنوات حتى قبل رحيله بيومين.. وما زلت حتى هذه اللحظة أكتشف كل يوم شيئا جديدا له أو عنه.. وكل ما أعرفه يصب فى خانة أنه أحد كبار شعراء العربية.. ما أنجزه لا يقل عما أنجزه هوميروس.. هذا عن مجال التراث الشعبي.. وأيامه وسنواته التى لا حدود لها وقد قضى معظمه فى جمعه ومعرفته واختزاله وإعادة إنتاجه فى أغنيات وقصائد ومقالات وحواديت مبهجة ومدهشة.. لكننى من تلك الزاوية البسيطة.. من ذلك الباب الذى فتحه لى عقب حلقة عمرو عبدالسميع أنظر إليه الآن.. باب التسامح.. والتعفف.. والاستغناء.

فى بداية حياته لم يكره عيشته مثل معظم الناس.. ورضى أن يكون راعيا

للغنم.. زاده بصلة وحتة جبنة قديمة ورغيف ناشف.. عاش طفولته طولًا وعرضًا وأحب الصحراء القاسية.. لم يترك فيها نبتة ضالة لم يختبرها.. لم يترك لها بجبروتها أن تهزمه.. لكنه سامح قسوتها وأحبها فأحبته.. وعندما كبُر.. استغنى عن «الميري».. ومن كان يملك أو يقدر على ما فعل.. وكيف له وهو ابن العشرين أن يخالف عقيدة عشيرته ويترك «الميرى» بمزاجه.. لمجرد أن الأحكام الشرعية التى يسجلها لا تعجبه.. ترك المرتب والوظيفة – اللى عليها القيمة – والستر.. وجاء للقاهرة – عريان بطوله – ينام فى محطة رمسيس، لأنه لا يملك أجر حجرة مزدوجة فى لوكاندة رخيصة.. راح – وهو حر – يبحث عن الشعر الذى خطفته نداهته مع رفيقيه أمل دنقل ويحيى الطاهر.. والأخير اختاره بإرادته صديقًا.. وتحمل مطاردات الشرطة التى تسعى خلفه لاعتقاله.

دخل المعتقل هو الآخر على ذمة قضية التنظيم الشيوعى الصيني.. لكنه لم يكره عبدالناصر أبدًا.. وكتب له ولنظامه عشرات الأغنيات والقصائد – طب جاب القدرة دى على التسامح منين؟!

ترك عبدالحليم حافظ أهم وأشهر مغنٍ فى زمانه.. وذهب للجبهة.. لجنين السويس بإرادته.. يبحث عن الغناء الحقيقى هناك.. ترك عبدالحليم حافظ وراح يكتب ويغنى مع محمد حمام المطرب المجهول والخارج لتوه من معتقل دام خمس سنوات كاملة.

رفض أن تغنى نجاة «عيون القلب» لثلاث سنوات، ولم يقبل أن يغير لها «كلمة».. كانت ترى أنها «مش حلوة فى لسانها» – كانت تريد تغيير شطرة «وهو عيونه تشبع» نوم»!!

ترك بليغ حمدى – الأسطى والمعلم الكبير – الذى لا يملك مؤلف أغانٍ خصامه، وهو يعرف أنه الأغزر إنتاجًا والأقدر على تلحين كلماته.. لأنه لا يريد أن يكتب على الألحان التى يصنعها بليغ أولًا.. فجاء بليغ بمحمد حمزة ونفذ قسمه وجعله أهم مؤلف أغنيات فى مصر – وطز فى الأبنودى وحجاب ونجيب – وراح يعمل مع الموجى والطويل وحسن نشأت وإبراهيم رجب

وعشرات من الشباب..

رفض أن يكون وزيرًا للثقافة فى عهد السادات.. وراح يندد به وبموقفه من كامب ديفيد حتى مات.. وهناك عشرات من المثقفين كانوا يتمنون نظرة رضا منه.. - من السادات طبعا - ومثلما رفض الوزارة رفض أن يعيش فى القاهرة.. وقرر أن يذهب لقرية بعيدة فى الإسماعيلية.. لم يملك مالًا ليشترى بها الأرض التى كانت عبارة عن «مقلب زبالة وبركة ملح».. لكنه دفع ثمنها بالتقسيط، ولم يخبر أحدا «جبت نهال.. وقلت أفرجها على الأرض.. أول ما شافتها.. قالتلى إيه الصحرا اللى عايز تشتريها دي.. كنت اشتريتها خلاص وما جبتلهاش سيرة.. لأنى كنت عارف إنها هترفض.. وقعدنا شهور نجيب لها تري وسباخ.. لحد ما بقيت أرض.. وكل ما يجينى قرشين أبنى حاجة.. وكل ما لاقى «شتلة» شجرة معينة أجيبها.. لحد ما بقت زى ما أنت شايف».. هكذا كان يحكى لى قصة بناء منزله فى الإسماعيلية. وبإرادته ودون أن يخبر أحدًا سوى أهل منزله ومساعده محمد.. اختار أن يبنى مقبرته فى جبل مريم.. - على عكس كل أهل الصعيد الذين يحبون دفنهم فى مقابر بلادهم - ثم قرر أن يختار من يودعونه ويشاركون فى جنازته وأسّاهم لزوجته وأوصى بمن يقوم بغسله.

هكذا عاش «الخال».. ومات.. حرًا.. سامح كل من أساءوا إليه.. ولم يقبل بحياة غير التى يريدها.. حتى طعامه ورغم معرفته بأنه يسبب له متاعب صحية كان يصر على أن تطبخه له زوجته حتى «لو مات فيها.. هيه موتة ولا أكتر».. ولآخر نفس ظل يكتب.. ويسجل ملاحظاته.. ويقرأ.. ويختار من يزورونه ليقضى معهم ساعاته التى يقتنصها من آلام المرض.. حتى موعد وفاته.. قالها لى وهو يضحك قبل وفاته بشهور «ما تقلقيش لسه.. لما هاجى أموت هقولكم».. وضحك.. وأكمل ما كان يريد أن يبلغنى به.. طب مين يقدر يعمل كده غير «يونس.. ولد الهلالية». اللى رفض محبة عزيزة بنت السلطان، لأنها قررت حبسه من أجلها.. أيوه يا خال صدقت «وده حب إيه ده اللى من غير أى حرية»؟!.

محمد رحيم..
قصة اللبناني صيّاد الماس

من نحو عشر سنين تقريبًا دخلت مبنى ماسبيرو ولقيت الدنيا مقلوبة.. والزميل ياسر رزق يبحث عنى، وأول ما شافنى سألنى، إيه حكاية صاحبك الملحن اللى اتخطف في بيروت، ومن غير ما أفكر هو مين عرفت إنه محمد رحيم.

كانت الأنباء المتواترة تؤكد أن «قبضاى كبير» احتجزه في مكان مجهول، وأنه لم يعد في الموعد المحدد لطائرته، وأن المصادر تتحدث عن رجل «مفتري» يعشق المطربة «إليسا» يظن أن رحيم على علاقة خاصة بها، وأن رجاله اختطفوا رحيم لإجباره على تطليقها.

رحيم رجل متزوج، ويعيش حياة مستقرة مع زوجته وابنتيه، ومجرد نشر أخبار من هذا النوع سوف تقلب المنزل وحياته كلها رأسًا على عقب، والحل الوحيد هو نشر الحقيقة كاملة، ولأننى أعرفه وأعرف أن علاقته بإليسا لا تزيد على علاقة مطربة بملحن ناجح، كنت على يقين أن الأمر فيه حاجة مش حلوة.

اتصلت برحيم، والمفاجأة أنه رد، وأخبرنى أن الأمر سينتهى خلال ساعات، وأنه عائد إلى القاهرة، وأن الشائعات إياها ليست صحيحة على الإطلاق، وأنه في مشكلة مع أحدهم، لكن شيئًا بخصوص إليسا ليس صحيحًا، ورجانى بالتصرف، وهو ما حدث.

بعدها بسنوات، وقبل وفاة الشاعر الكبير عبدالرحمن الأبنودى بعام تقريبا، كنت في منزله على عزومة غداء، وشكى لى من رحيم، أنه مثل سمك «القراميط» مزفلط ومش ممكن تمسكه، ولا حد يقدر يملكه، ولما سألته زوجته الإعلامية نهال كمال عن معنى كلمة «لبناني» التي يرددها دوما بعد كل شكوى من رحيم، ضحك، وأضاف «أصله مولود في لبنان، ماحدش يقدر يلومه يا جماعة».

كان الخال ينتظر رحيم ليذهب إليه في بيته في الإسماعيلية، حيث يقيم، للانتهاء من ألحان مسلسل «الوسواس» الذي تعاقد الخال على كتابة أغنياته، واشترط على المنتج أن يلحنها رحيم، ويغنيها على الحجار، لكن رحيم كعادته - خلف المواعيد - ووضع الخال في زنقة لم ينقذه منها سوى الموسيقار أمير عبدالمجيد، بعدها فوجئت بالخال يعمل مع رحيم على مجموعة أغنيات، وكنت ظننت أنه سيقاطعه، فأخبرنى أنه يحبه ويعتبره أمهر الموسيقيين الموجودين وأكثرهم فهمًا، وأنه حافظ مزيكا كويس، لكنه يدرك أن سر نجاح رحيم مع مطرب ومطربات بيروت، وأن هذا يجعله دائما «عين في الجنة وعين في النار»، يريد أن يلحن كل ما يعرض عليه في القاهرة لكنه لا يستغنى أبدًا عن نجاح بيروت وفلوس الإنتاج بتاعتها.

رحيم الذي أعرفه، لا أستطيع أن أغضب عليه ولا أزعل منه، موهبته غير المحدودة تجعلنا - كل من يعرفه - نغفر له مواعيده المقلوبة، والمضروبة معًا.

الموعد الوحيد الذي يحافظ عليه رحيم، هو موعد صلاة الفجر ودعوة الأصدقاء إليها، بعد ذلك لا شيء يشغله سوى أن يختفى ثم يعود ليظهر هو الوحيد في مصر الذي ظل لسنوات يجمع بين عمرو دياب ومحمد منير، هو يريد

«القمة»، ملحنا وموزعا ومطربا، وشاعرا لو استطاع، ولِمَ لا، فهو ابن شاعرة معروفة – رحمها الله – كان لها الفضل الأكبر في أن يكون هذا الموهوب موجودًا.

منذ أيام سافر رحيم إلى باريس ليتم تكريمه من قبل جمعية «الساسيم»، المنظمة الأم التي تتولى تحصيل حقوق الإبداع للمؤلفين في العالم، واختياره مندوبًا عن الشرق الأوسط، وهى المرة الثانية في تاريخ الملحنين المصريين بعد عبدالوهاب، ذهب رحيم ونال وسام التكريم وسط مجموعة من أغزر ملحنى العالم، وعاد ليكمل تسليم أغنيات مسلسل «المغنى» لمحمد منير!!

هو الأغزر إنتاجا بعد أبناء جيله رغم أنه لم يكمل الأربعين بعد، وهو الأشهر والأغلى سعرا، نعم، فهل ذهب رحيم إلى هذه القمة بالصدفة؟! أبدًا.

كان رحيم حينما شاهدته لأول مرة في شارع جامعة الدول العربية بصحبة الشاعر الراحل عبدالعزيز عمار – بلدياته – مجرد طالب في كلية التربية الموسيقية، نجحت أولى أغنياته التي كتبها زميله وبلدياتى – محمد رفاعي – على حنجرة عمرو دياب، لكنه كان رغم تلك الأغنية المحظوظة لم يشعر بأنه ملك الدنيا وما فيها، كان يبحث عن «سكة»، كنت تشعر أنه بعيون زائغة يبحث عن شيء مش موجود.

بعدها بشهور غنت له «نوال الزغبي» من كلمات صديقى خالد منير «الليالي»، وبعدها توالت طوابير المشاهير.. سنة ورا سنة.. نبيل شعيل، حسين الجسمي، نانسى عجرم، حمادة هلال، محمد محيي.. ورحيم لا يهدأ، فجأة يتحدث الشارع عن ممثلة مغمورة لا علاقة لها بالغناء راكبة عجلة وبتغنى «طب ليه بيدارى كده».. وبقت ليلة.. لكن أحدًا لم ينتبه لما كان يفعله رحيم، كان يريد أن يقول للجميع، إنه مستعد يلحن الجورنال زى بليغ، وممكن يخلى «الحجر يغني»، هو

تلميذ محمد فوزى في البساطة، وتلميذ بليغ في «الحارة المصرية».

تربى رحيم، مثل كل أبناء المدن، هو من كفر الشيخ لكنه لم يكن فلاحًا، والدته الراحلة الشاعرة إكرام العاصى لم تكتف بأن جاءت له بمن يعلمه الموسيقى حينما لمحت موهبته ولا بمن يدرس له القرآن.. ولا بشراء الآلات التي صار يتقن العزف على أكثر من واحدة منها.. لكنها غادرت كفر الشيخ بحالها لتعيش في القاهرة بجواره، وهو يدرس في «التربية الموسيقية»، لكن رحيم الذي يختفى كثيرًا لم يترك موالد كفر الشيخ تذهب بعيدا عنه واختزنها في عقله الصغير، وحين أراد أن يستخدمها في «حين ميسرة» جاء بصوت ممدوح بيرم، وكذلك فعل مع أحمد سعد في «مملكة الجبل» ثم مع محمد منير في «يونس»، لكنه يحتاج إلى براح أكبر، فقرر أن يقدم تجربة صوفية خالصة مع مشارى راشد، ومن خلال «ألبوم ديني» يعده منذ سنوات، ولأنه يعمل بنفس الطريقة التي بدأ بها، هو لا يخطط لشىء بعينه، فقط يحدد هدفه ويجرى خلفه، قرر أن يكون رجل الدراما، إلى جوار عمار الشريعى، وفى حياته، وهكذا فعل، قرر أن يكتب الموسيقى للسينما وفعلها، قرر أن يغني وفعل، قرر أن يوزع موسيقي بنفسه وفعل، ثم قرر أن يعود ملحنًا فقط ويسند أعماله للآخرين لتوزيعها، المهم أنه يعمل، في منزله بحدائق الأهرام، أو في مكتبه بالمريوطية، أو في شقة أحد أصدقائه، وفيما الجميع في انتظاره بأحد الاستديوهات، ستجده وقد حمل حقائبه وطار إلى بيروت، متى فعل ذلك، مش مهم، المهم أنه سيخبرك «يا حبيبي، يومين أخلص فيهم شغل مع أختك نانسي، وأرجع، وأول ما أرجع هكلمك، ونكمل الشغل بتاعنا».

أول ما لحن رحيم من كلماتى كان أغنية اسمها «شجر الترمس»، وكان

من المفترض أن يغنيها منير، لكن مطربًا من الصعيد أيضًا اسمه «على حسين اختارها لألبومه»، وبعدها عملنا معًا في «والله لك شوقة» التي غناها رحيم نفسه، وبنفس الحماس الذي يقابلنى به، أو في أي مكالمة هاتفية.. «بكرة نتكلم ونقعد نخلص غنوة فلان»، يتحدث مع المنتجين والمطربين الذين ينتظرونه، وقطعًا يغضبون ويقررون عدم التعاون معه مجددًا، لكنهم وبمجرد ضغطة على «الريموت»، تخطفهم جملة مدهشة في لحن أصالة الجديد «منازل» أو «٦٠ دقيقة حياة»، أو «تتر المغني»، أو مع بوسى في «الخانكة»، أو تداهمهم شيرين أو تامر حسنى أو سميرة سعيد بموسيقى تشبه «الألماس»، فإذا بهم يبتسمون، ماحدش غيره يعمل كده.

هذا وجه، وجه من وجوه متعددة لموسيقى مصرى تعلم الصيد مبكرًا في بحيرات كفر الشيخ، ربما في تلك المنطقة التي يلتقى فيها «البحر الأحمر الهائج.. بالمتوسط الغامض»، وما بين جموح «الجيتار.. وغموض البيانو» يقف هو ليلوح لمحبيه، استنونى «مشوار لحد بيروت وراجع».

صبري فواز..
سر النجاح المتأخر لـ«ملح البراري»

أستغرب جدا كلما قرأت لأحدهم يمدح قدرات صبرى فواز فى التمثيل.. حدث هذا فى العام الماضى عندما قدم دوره فى «بين السرايات».

وفى العام الذى سبقه وهو يؤدى دور الشيخ البصباص الذى تغريه قدرات غادة عبدالرازق فى «كلمنى شكرا».. وعند مشاركته فى «دكان شحاتة».. ويحدث يوميًا منذ بدأت إذاعة حلقات «أفراح القبة».

أستغرب وأندهش كلما أشار ناقد فنى أو زميل إعلامى لمؤهلات ممثل فى منتصف الخمسين من عمره، وكأنه وجه جديد ما حدش خد باله من إمكاناته طيلة عشر سنوات تراكمت فيها الأدوار المملة من مجرد فلاح صعيدى فى «مسألة مبدأ» أو ضابط شرطة فى فيلم كوميدى مع صلاح عبدالله وياسمين عبدالعزيز.. وكلما ضبطت نفسى فى هذه الحالة أسألها «هوه أنا ليه مش فرحان».. إيه مش ده صاحبك بتاع الأيام الصعبة؟

يمكن عشان هوه صاحبى.. ويمكن عشان كنت مستنى أن الناس تحبه وتشوف إمكاناته دى من بدرى حاسس أن المسألة على بعضها جاءت متأخرة.. وأن السنين اللى ضاعت من عمر «أبومروان» ماكنش لازم تضيع.. وأن البلد دى ماكنش لازم تعمل زى القطط اللى بتاكل عيالها.. يمكن.. أو يمكن لسه شايف أن نجاح صبري المستحق لم يأت بعد.

آخر مرة شفته فيها يمكن كان من خمس سنين.. اتقابلنا صدفة قدام مرور

فيصل.. مش عارف إذا كان صبرى بعد ما بقى نجم ساب شقته اللى فى الهرم واشترى فيلا بجنينة ولا لسه.. بس أنا شخصيا أشك.. لأن الفقرى فقرى..

وصاحبى فقرى يوم ما يفكر بينى بيت هيروح يبنى بيت «هلالة أحمد نصار» فى كفر الشيخ.

المهم كان هو رايح يجدد رخصة عربيته.. مش مرسيدس ولا هامر.. وأنا كمان.. وعشان عملية الواسطة بتفرق معانا قوى.. هوه عمل فيها «محترم» واستنى دوره عادى زى أى مواطن.. ولقينا نفسنا قاعدين على القهوة لحد ما حد ينده علينا نستلم الرخص.

كان قد مر وقت طويل لم أقابله.. لكننى أشعر أن وقتا لم يمر على الإطلاق.. قعدنا نتكلم عن صحابنا عادى.. وعن الشعر عادى.. وعن ديوان كان عايز يطبعه عند محمد هاشم بتاع ميريت عادى برضه.. وفى السياسة شويه.. وعن بلدياته وصاحبى اللى بقى مرشح رئاسى حمدين صباحى!! هوه صبرى فواز اللى بتربطنا علاقة ممتدة من ييجى ٢٥ سنة وعيش وملح وبصل بالسمنة وبقايا العيش البلدى.

صبرى فواز لم يتغير على الإطلاق.. ربما تغيرت عيون مشاهدى التليفزيون والسينما فشافت اللى ما عرفتش تشوفه قبل كده.. أما أنا وأصدقاء قلائل منهم خالد إسماعيل وأحمد قنديل ومؤمن المحمدى وأحمد عيد وعلى رجب.. زى ما إحنا لأننا طول عمرنا كنا شايفينه مخرج مسرحى كبير وممثل على قده.. والشوية اللى على قده دول أهم من كل اللى بيمثلوا.. باستثناء أحمد زكى ومحمود حميدة ويحيى الفخرانى.. آه والله إحنا كنا شايفين كده.. هو يعنى فيه حد يعرف يمثل أجدع من صاحبنا؟

ليس غرورًا أن نمنح ذلك الفلاح كل هذه الثقة.. ولا هى عنصرية لواحد نعتبره من أقربائنا.. بالمناسبة كان شقيق صبرى - «محمد» على ما أظن - يعيش ويدرس فى القاهرة ويعمل بعد الضهر فى أحد المحلات التجارية ويعود لمسكنه

فوق سطوح إحدى العمارات بمصر الجديدة وكنا نزوره للحصول على خيرات كفر الشيخ القادمة من عند «الحاجة» التى فعلت فى هذا «الصابر فواز» ما لم يفعله أحد.. ولما كنا نتسامر كنت أقول له إننا من عائلة واحدة – عائلتى اسمها فواز – وإن فرعنا الفقرى فضل فى الصعيد.. وفرعهم «ركب البحر وشرخ».. لكننى أستعجب لماذا سكن البرارى ولم يذهب للإسكندرية؟ وكان صبرى يرد وكأنها حقيقة مؤكدة «عشان فقرى».

ملح الأرض فى برارى كفر الشيخ هو من منح تلك السيدة التي تشبه «فضة المعداوى».. و«فاطمة تعلبة».. كل هذه الصلابة التى انتقلت إلى صبرى، ذلك الشاب المثقف الذى ذهب إلى الإسكندرية ليدرس المسرح.. ومنها جاء للقاهرة ليكمل فى نفس السكة بلا زاد ولا زوادة.

هو مثلنا ناصرى الهوى يؤمن بالفلاحين – أهله – وبالعمال، ويقرأ لتولستوى وديستوفيسكى.. فمن هو المنتج أو المخرج العبيط اللى يشغل واحد مثقف؟

كانت تلك الفترة التى جئنا فيها للقاهرة هى فترة ازدهار أفلام المقاولات.. أى حد معاه قرشين يعمل فيلم أو مسلسل للخليج.. ولا عزاء لأمثال صبرى سوى فى بلدياته.. إسماعيل عبدالحافظ بالتحديد وأحمد خضر.. والأخير منح صبرى دورًا صغيرًا.. لكنه لم يلفت النظر.. لكن «العين الساحرة والسحرية» عم إسماعيل أعطاه تلك الفرصة التى كان ينتظرها.. لم يمنحه الفرصة وحده لأنه بلدياته.. ولا أنه يعشق عبدالناصر مثله.. لكنه منحها للعشرات من ذلك الجيل – جيل ليالى الحلمية – واتشعلق صبرى فى مشهد يتيم منحه له الرجل مع صفية العمرى.. كان عامل دور طالب رايح يأجر السطوح بتاع عمارة الحلمية والسيدة التي تحب الزواج فى آخر عمرها ويادوب إنه بيسلم عليها تلتقى العيون والرغبة وباقى الحاجات اللى أنتوا عارفينها.

قبل أن نشاهد ذلك المشهد.. كان صبرى قد حكاه لنا.. لأننا قفشناه جايب لوحة فنية مدهشة غالية جدا.. وهو زى حالاتنا مش لاقى ياكل.. وفرحان بيها

جدا ومحافظ عليها قوى،، وعرفنا أنه قرر أن يهديها لصفية العمرى التى يرى أنها بالمشهد الوحيد الذى مثلته أمامه قد منحته طاقة تمثيلية لا حدود لها.. وأقل واجب أن يهديها تلك اللوحة.

أذيع المسلسل وانتبه البعض لهذا المشهد اليتيم.. وعرفوا أنهم أمام غول تمثيل جديد.. لكن أحدًا غير إسماعيل عبدالحافظ لم يمنحه الفرصة التالية..

وظلت معرفة المخرجين به عائقًا يمنعه عن الشهرة - ما حدش بيحب ممثل عامل فيها مثقف - حتى التقى خالد يوسف.. كان قد لمع قبلها بالطبع فى بعض الأدوار التليفزيونية مع خيرى بشارة.. وإنعام محمد على، التى قدمته فى دور بليغ حمدى فى مسلسلها «أم كلثوم»، وهو الدور الذى أعاد تقديمه فى فيلم «حليم».. لكن النصيب الأكبر من الأدوار كان مع عم إسماعيل الذى آمن بموهبته: «العائلة، امرأة من زمن الحب، الأصدقاء، حدائق الشيطان، المصراوية».

وإلى جانب والدته «ملح البرارى» وعم إسماعيل كانت هناك سيدة أخرى مثقفة ومبدعة اسمها «عزة السيد» تؤمن هى الأخرى بقدرات هذا الصابر وتدفعه دفعًا إلى المقدمة.. تغنى أشعاره سرًا مثلنا، وتنتظر تلك الفرصة اللى هيه «بنت جميلة راكبة عجلة ببدال» ويحلم هو بنفس السيدة قمرًا تسكن داره فصارت له دارا.

أم مروان الجميلة هى تلك السيدة التى منحها الله لصديقى صبرى فى زمن صعب فهونت عليه الطريق، وكانت زاده من الصبر والمحبة، خاصة فى تلك الفترة التى رحلت فيها والدته.. والتى انقطع بعدها صبرى عن زيارة كفر الشيخ.

دعوات أم صبرى.. وصبر أم مروان.. وحكمة جدنا الفلاح فى تلك البرارى البعيدة.. هى أدوات هذا الممثل الذى صار نجمًا الآن.. لكنه فى عينى لا يزال مجرد صديق يكتب الشعر ويغنيه على مقاهى فيصل:

عارف.. لما الضى يمد جدوره
لسابع أرض..
لما الطمى يهم بطول السما من فوق
لما الأرض السمرا تبك خضار..
ونهار وعيال رجالة
حد بيغزل على توب الزرع الأخضر
بالطوب النى بيوت.. وحكاوى..
حد بيبدأ يومه بكنس الهم
ورش الميه
ورش البهجة
ورش القوت
عارف حد يبات سهران الليل
بيخمر صبح حنين.. ومرايل حلوة
وإيدين طايلين
فالعيل يقدر يكتب ع السبورة
تاريخ اليوم
عارف.. لما تجمع قصاقيص الناس
وتدبق منها نهار مطمن.. وسنين مستوره
وعرايس قطن بتضحك
عارف..

ده شعر صبرى فواز.. اللى كاتبه عن أمه «هلالة أحمد نصار» متهيألى عرفتوا ليه دلوقتى أنا مش شايف إنه نجم.. وإنه بيعلم ناس كثير اسمهم نجوم «يعنى إيه تمثيل».

أمير عبد المجيد..
شيخ العرب القانونجي

حكى لى الموسيقار الشاب ممدوح صلاح مرة أنه كان عنده امتحان فى معهد الموسيقى العربي.. ومش معاه عود. ومش معاه فلوس يروح يشترى عود جديد.. والامتحان الصبح.. ولأن الأمر لن يتم بدون هذه الآلة اللعينة.. أصبح الأمر همًا لا يمكن احتماله.. فقرر ممدوح - اللى معروف عنه إنه ضارب الدنيا صرمة - يخش ينام وما يرحش الامتحان.. فجأة وجد من يطرق بابه ويعطيه «عود جديد لنج» ويوصيه «خد بالك منه».. هذا الشخص هو الرجل الذى أحدثكم عنه.. الموسيقار المبدع عازف القانون الأول فى العالم العربي.. الملحن والموزع وأستاذ الارتجال فى معهد الموسيقى «أمير عبدالمجيد».

ناس كتير فى مصر ما يعرفوش أمير.. لكن لو شافوا أى حفلة لمطرب عربى كبير، سواء فى مصر أو خارجها، سيجدون رجلًا صعيديًا طويلًا جدًا يشير بيده وعصا المايسترو لتتحرك الموسيقى بأمره.. وسيعرفون من ملامحه الحادة والصارمة وعصاه الشهيرة أنه «أمير».. وأنه شاب صعيدى من أسيوط.. عمره ٥٦ سنة تقريبًا.. والده كان مدرسًا بإحدى مراكز المكفوفين ومن تلامذته عمار الشريعي.. اتربى فى حى شعبي.. اشتغل عازف وعمره ١٨ سنة فى فرق موسيقية ضخمة ومهمة زى «الماسية».. وفرقة حمادة النادي.. اتعلم من الشيخ محمد عمران وإبراهيم الحجار وعبدالعظيم عبدالحق.. لحن ووزع لكبار مطربى العالم العربى «وردة.. نبيل شعيل.. سميرة سعيد.. عبدالله الرويشد.. أنغام.. شيرين.. على الحجار ومحمد الحلو» وغيرهم.. فى لندن تعزف موسيقاه فى أهم الأماكن وله أكثر من أسطوانة منذ عام ٢٠٠٣..

لكنهم فى مصر لا يعرفونه جيدًا.. أهل الكار طبعا عارفينه وكانوا عايزينه نقيبًا لأهل المهنة، لكنه تراجع فى اللحظة الأخيرة.. هو صاحب الأجر الأعلى فى مصر، وربما فى العالم العربي.. وعنده أسبابه.. هل عرفتموه الآن.. أشك.. لأننى أنا شخصيًا ورغم كل هذا العمر منذ رأيته أول مرة.. أعتقد أننى لم أعرفه جيدًا.

كنت قد انتهيت من إعداد مجموعة أغنيات لعلى الحجار.. ولحنها فاروق الشرنوبى، الذى كنت أتردد عليه كثيرًا للعمل فيها.. وهناك رأيته لأول مرة.. وجه حاد.. لا يبتسم إلا قليلًا.. ولا يتحدث إلا مع من يعرفهم.. لم أكن أعرف أنه أصلًا من الصعيد.. وبعد أن انتهى من كتابة النوتة لأحد ألحان فاروق، وأظنه كان لأغنية «مكتوبالي».. استأذن لينصرف وكنت قد سبقته أيضا للخروج وفوجئت به يسألنى إلى أين؟ وأجبت «فيصل» - حيث كنت أسكن - وكان فى طريقه لاستديو صوت الحب.. وعزمنى على التوصيلة، وفى الطريق اختلفنا حول المقارنة بين الحجار والحلو.. لكننى عرفت وفهمت أنه أقرب إلى «اللحن» منه «إلى الكلمة».. وأغضبنى ذلك بلا مبرر.. وفهمت إنه ميال إلى الأصوات الطربية وأن من نحسبهم فى ساحة «المغنيين» لا يروقون له.. وكلما التقيته بعدها أتحاشى الحديث معه.. لكننى كلما سمعت سيرته من أحد الموسيقيين وجدت أنهم يتحدثون عن «شيخ عرب».. عيبه الوحيد أنه «معتد بنفسه» وأجره عال!

عملنا بعدها فى ألبوم لأسامة الشريف.. وكان من الطبيعى أن أحضر الاستديو الخاص بتسجيل أغنياتي.. وفوجئت بأننى أمام رجل يفهم فى كل تفاصيل الصنعة.. هو ليس مجرد عازف قانون ماهر - بل قد يكون الأمهر ممن رأيتهم - يجيد العزف على العود والبيانو وربما آلات أخري.. وكان من الطبيعى أن أنتبه لعلاقته بالصوفيين وموسيقاهم، وكان محمد عمران بابا سحريا لدخولى إلى عالمه.. فعمران الذى كان أحد تلامذته هو أحد أهم الأصوات التى أعشقها فى مجال الابتهال.. والارتجال فيه.. ثم جاءت تجربة ألبوم «بقولك إيه» لأنغام،

لتضع أمير عبدالمجيد فى منطقة أخرى بالنسبة لي.. كانت هى تجربتها الأول بعيدًا عن موسيقى والدها المبدع الكبير محمد على سليمان.. وكانت أول تجربة مصرية كاملة لأمير فى عالم التلحين.. سبقتها تجارب عربية أخرى أشهرها مع وردة فى مجموعة أغنيات.

«بحبك قولها للعالم وما يهمكش لو لامو، طال السفر، سلم على، وبقولك إيه».. لم يكن مجرد ألبوم جديد لأنغام.. لكنها كانت التجربة الأجرأ التى دخلت بها فى منطقة لم تكن مأهولة.. هى مرحلة تحول فنى لا شك.. واقتربنا - فنيًا - واكتشفت أن الرجل الذى يختبئ خلف «جهامته» يملك مخزونًا ساحرًا من الموسيقي.. بدأت آثاره فى الخروج للنور.. «ريشة ويا ريشة يكمل الجناح» من الحجار ثم «اشهدى» مع الحلو.. ثم «وحدانية» مع أنغام.. ثم تتر مسلسل «البيضاء» الذى كتب كلماته الخال عبدالرحمن الأبنودي.. وعشرات من الألحان، والرجل لا يتحدث للإعلام فقط يعمل وربما لمدة ٢٤ ساعة فى اليوم.

ونحن فى استديو «صوت الحب».. فوجئت بطريقته فى التعامل مع مهندس صوت انجليزي اسمه «جريج».. ومع عازف قانون - منافس - تركى اسمه «تاتش».. ومع ساحر فى آلة الكمان اسمه محمود الجرشه.. وفى توظيفه للتراث والفولكلور فى تجربة صدرت فى لندن اسمها «صوت الليل» ظل يعمل عليها لمدة ٤ سنوات تقريبًا.. هو رجل «مايسترو» بكل ما تعنيه الكلمة.

ومن بين المرات التى شاهدته فيها فى الاستديو.. كانت شيرين عبدالوهاب قد جاءت فجرًا.. وفوجئت بها تطلب من أمير أن «تأكل» كبدة!! أعرف شيرين منذ سنوات وأعرف أنها «طفلة كبيرة».. لكننى لم أكن أعرف أن أمير يتعامل بأبوة غير عادية مع الجميع!!

هو مش مجرد مايسترو.. يقود فرقة أمام الجمهور.. أو من خلال « الكنترول روم» فى الاستديو.. لكنه يمارس أبوة غير منظورة مع الجميع.

هذا الرجل الدرويش فى مقره الموسيقي.. فجأة وفى نهاية ١٩٩٥ تقريبًا..

أطلق لحيته.. وأقام مقرأة فى منزله.. وأصبح من أهم المترددين على مشايخ الصوفية.. واندهش الكثيرون وظن البعض أن الحبيب على الجفرى هو من كان صاحب الكلمة الأولى فى اتجاه أمير إلى هذه المنطقة الصوفية.. لكننى أعتقد أنه ذهب إليها مبكرًا.. وأنه كان فى مرحلة تردد ربما وصلت به إلى الرغبة فى اعتزال العمل بالموسيقي.. لكن الحبيب قال له «مش عايز الفنانين يتوبوا عن الفن.. عايزهم يتوبوا فى الفن»!! فى ذلك العام كان أمير فى بيت الله الحرام.. ومن يومها عاد ليمارس حياته كدرويش حقيقى يؤمن بأن الفن عبادة، وأن به من الجمال ما يبعده عن شبهات الحرام.. واستغرق فى تلحين وتوزيع أغنيات لها صبغة وطنية ودينية لكنه لم يتوقف أبدًا عن العزف.

«شيخ العرب» أمير عبدالمجيد يضبط دوزان «قانونه» جيدًا.. وبصراحة.. وربما لهذا السبب وحده تراجع عن ترشحه لمنصب نقيب الموسيقيين لمجرد أنه رأى أن بعضهم سيدخل به إلى طريق المهاترات.. «ومن الآخر».. وده اسم أحد ألحانه للحجار.. حمل الرجل عصاه إلى «جبل المقطم» - حيث يسكن - وقرر أن يستغرق فى محبة الموسيقى بحثًا عن محبة الله.. وعباده.

ذكرى محمد..
أنثى الأحلام المستحيلة

لم يكن إيهاب أحمد توفيق – الدكتور إيهاب فيما بعد – من أصدقائى المقربين.. التقيته مرات قليلة جدًا.. لكن والدته السيدة الفاضلة الحاجة أم إيهاب رحمة الله عليها كانت حريصة جدًا على إقامة علاقات ودودة جدًا لإيهاب مع الإعلاميين الذين يتابعون نشاطه.. وكنت واحدًا منهم..وكعادتها فى رمضان كانت تحتفى بضيوفها وضيوف إيهاب بشكل يفوق الوصف.

كنت قد وصلت إلى منزل إيهاب – فيلته التى كانت جديدة وقتها فى شارع قريب من عباس العقاد بمدينة نصر عقب الإفطار مباشرة.. ووجدت بجوارها فى حجرة «المعيشة».. هى ليست حجرة طبعًا – عشرات الأصناف من «الخشاف».. وحلويات رمضان.. وبجوارها جلست ذكري.. وتولى كلاهما توزيع «الغنائم» على أصحاب إيهاب.

كنت قد تعرفت على ذكري قبل ذلك اليوم بسنوات.. وكنت أعرف عنها قدرتها العجيبة على التحدث بالمصرية الدارجة، وشغفها الفظيع بحفظ الكلمات الشعبية التى لا يعرفها إلا أبناء الحارات الضيقة.. كانت مهووسة تقريبًا بكل ما هو شعبى من أول «النكتة المصرية الحرّاقة».. وحتى أنواع المخللات البلدية.. وكان من الطبيعى أن تجلس فى حجر السيدة أم إيهاب لتسألها عن اسم كل نوع من هذه الحلويات والأكلات التى صنعتها السيدة الكريمة لضيوف الليلة.. وبالمرة «الأمثال الشعبية» التى كانت الحاجة تجيد فك

أسرارها زى «المحبة تستر».. والتى أمسكت فيها ذكري وكأنها أغنية جديدة.. كانت الحاجة تعلقت بها وأنا أسألها «إيه يا حاجة ده كله أنتى اشتريتى حلويات وخشاف الحسين كله»! فردت: «المحبة تستر يا محمد»!

وبعد دقائق امتلأ هول الفيلا بالحبايب.. وانتحت بى ذكري، لتخبرنى شيئًا مهمًا كانت تريدنى أن أعلنه للناس.. أخبرتنى أنها حصلت على حكم توثيق عقد زواجها من رجل الأعمال الشهير «أيمن السويدي»، وأن ذلك حدث بناء على رغبة أيمن.. وأنه من رفع الدعوى فى المحكمة - لأنها أجنبية - وأن المحامى جاء لها بصورة التوثيق، وأنها سترسله لى فى الصباح مع نسخة من ألبومها الجديد لأستمع له فى صورته النهائية، وأخبرها برأيي.. ورجوتها أن تفعل ذلك مبكرًا، لأننى سأسافر لقريتى فى الصعيد لقضاء العيد مع أهلى هناك - كانت تريد الذهاب للصعيد.. ولكل شبر فى مصر - ووعدتنى أنها عقب عودتها من رحلة مزمعة إلى ليبيا لإحياء حفل هناك، وبعد الاحتفال بصدور ألبومها وتوثيق زواجها ممكن تروح أى حتة فى مصر!!

لم يكن هناك أى شيء يشير إلى أن ثمة مشاكل قد اعترت علاقتها بزوجها الذى كان يمر بفترات حزن وغضب، بسبب سفرها المتكرر ورحلاتها الكثيرة إلى فرنسا والخليج وليبيا.. وسهرها ومعجبيها وطريقتها المتباسطة فى التعامل معهم.. كان غيورًا بشكل يزعجها أحيانًا.. ورغم ضحكتها التى كانت تجلجل فى نواحى الفيلا فى تلك الليلة.. كنت أشعر أن هناك ما ينغص عليها فرحتها وتكتمه.. وأن شعورًا بالغربة لا يزال يطاردها يجعلها تتصرف بشكل معاكس.. توقفت قبل أن أودعها وأسألها «أنتى كويسة».. فقالت: «منيحة» ثم انتهيت وأردفت «أحسن من أهلك»! كانت تظن أنه تعبير عن السعادة.. سمعتها من أحدهم فاعتقدت ذلك.. فضحكت.. وأخبرتها أنها بالنسبة لى «شتيمة»! فاستغاثت بالزميل مصطفى يس الذى كان يقف قريبا منها، وطلبت من صديق ثالث أن «يرحلنى للصعيد» لأنى مش فاهم مصرى!

فى فجر اليوم الثالث لحفل منزل إيهاب.. كنت فى الطريق للبلد.. وفوجئت باتصالها تشكرنى على احترامى لرغبتها، وإرفاق عقد زواجها فى الموضوع الذى نشرته فى «صوت الأمة» صباح ذلك اليوم.. ولما كان الخط مشوشًا سألتنى أنت فين.. فأخبرتها أننى فى القطار.. وأن الصوت بيقطع، «فإذا بها تغنى على الطرف الآخر من الهاتف:

«يا وابور يا مروح بلدي..

بلغ، هتبلغ مين؟!

ما بقاش لينا حد..

ما لناش مستنين.. يا وابور»!

واندهشت لأننى لم أسمع كلمات هذه الأغنية ولا لحنها من قبل.. وأكملت هي: «ده لحن عمك بليغ.. غنيته فى فرنسا».. ولم أكن أعلن أنها قد سجلت أربع أغنيات لبليغ وهى تتنقل بين باريس وليبيا منهم «زى الزمن» التى أصدرها بليغ فى ألبوم ضم ٤ أغنيات بصوته أثناء عزلته الإجبارية فى باريس وطبعها «أبوحمزة».. صاحب نجمة القبة فى ألبوم مجهول وعدد محدود من النسخ.. لكن هذه الأغنية لم تكن منها:

«يا وابور قالولي أهلك متغيرين

قلتلهم أهل بلدى طول عمرهم

قادرين.. يغيرو بضحكهم ألوان السنين

ويخلو المر يحلى بضحكة وكلمتين».

لكن ذكرى التى كانت تنتظر أن تتغير ألوان السنين للأفضل، لم تكن تدرك أن ما تبقى لها مجرد ساعات، وأن فرحتها المفاجئة بإعلان زواجها وألبومها الجديد «يوم عليك» لن تدوم.

أتعبتنى رحلة السفر.. وطقوس العيد.. وعدت للبيت مهدودًا فنمت وكأنى ميت ليوقظنى أخى الأصغر على اتصال من قناة الجزيرة.. ومن على الطرف الآخر يسألنى عن ذكرى وآخر ما دار بيننا وأننى على الهواء مباشرة، وأن ٢١ طلقة وجدها الطبيب الشرعى فى جسدها وبجوارها زوجها المنتحر ستظل لغزًا يحتاج إلى تفسير!! لم أكن قد أفقت من الذهول.. ساعات وأنا أتحدث لأصدقاء مشتركين وأنا مش فاهم حاجة.. فقط «ذكرى ماتت مقتولة» على يد حبيبها الذى يعشقها بجنون.

ولم أصدق.. هذه الفتاة المستحيلة كيف لها بهذه النهاية البشعة.. هذا الصوت القادم من «ريحة الجنة» هل توقف عن الغناء للأبد؟!

تذكرت أنها وهى بجوارى فى طرقة مبنى دار الهلال العتيق، وكنا قد انتهينا من ندوة استمرت ٣ ساعات ما بين الجد والهزل مع كل الزملاء فى «المجلة».. أنها لم تصدق أن هذا المبنى عمره أكثر من ١٠٠ سنة.. ويبدو أنه أخذها إلى ذكرياتها فى بلدها تونس ولادتها فى العام ١٩٦١ لأسرة من عشرة أفراد – لديها ثمانية إخوة – وأن من أسماها «عانس محمد الدالي».. يبدو أنه كان يعرف أنها مثل هذا المبنى العتيق.. «هتلف العالم كله» وستظل «وحيدة».. عانس بالنسبة لها لم تكن إلا إشارة للوحدة!! رغم أنها أخت لسبعة آخرين ورغم كل هذه الزحمة التى تعيش أجواءها.

نجحت فى ١٠ سنوات أن تلفت أنظار التونسيين.. وضع لها عبدالرحمن العيادى مكتشفها وخطيبها فيما بعد ٢٨ لحنًا من جملة ٣٠ لحنًا قدمتها فى تونس.. وفى سوريا محطتها الثانية أرادت كسر احتكاره لها والغناء لآخرين فحدث الخلاف وانفصلا.. وشعرت أنها حرة.. فطارت تغنى بشغف كل ما يقع تحت يدها من نغم أصيل وجميل.. فى ليبيا قدمت عشرات الأغنيات باللهجة المغربية، حتى صارت صاحبة أكبر رصيد لمطرب عربى فى الغناء الليبى، وكذلك فعلت فى الخليج لدرجة أنها الوحيدة تقريبًا التى شاركت فى دويتوهات خليجية مع

محمد عبده وعبدالله الروشيد وأبوبكر سالم.. وفى مصر التقطها هانى مهنا الذى كان قد انفصل عن سميرة سعيد لينتج لها أول ألبوماتها «وحياتى عندك» ثم ألبوم آخر لم يحقق نجاحًا.. فتركته لتنطلق مع آخرين ولتفتح بيوت مصر كل شبابيكها لاستقبال صوتها الهادر.. وتتحول ذكرى محمد من «عانس الدالى» إلى زوجة مصرية لرجل أعمال شاب كانت قد التقته صدفة فى محل «بلوز» الشهير على نيل الجيزة.. كان صاحب المحل.. وخطفته ابتسامتها الساحرة وطيبتها غير المحدودة.. وبساطتها المدهشة لتستولى عليه تمامًا، فيمنحها قلبه وحريته بعد أن طلق زوجته فنانة مغربية اسمها نادين على ما أظن.. لكن الزواج الذى لم يدم سوى ثمانية شهور كان النهاية.

١٢ سنة مضت بالتمام والكمال على ذلك الرحيل.. والعيد الذى ودعها، كأنه لم يجئ من يومها.. «اتغيرت السنين».. لكن «الأسامى.. هيه.. هيه».. وصوت ذكرى محمد لا يزال فى أذنى «هوه.. هوه»..

إبراهيم رجب..
جمل السيدة زينب

وإحنا عيال صغيرين كانت جميع ألعابنا «هاندميد».. يعنى البنات يعملوا العرايس من القطن والهدوم القديمة.. والولاد يعملوا الكورة من «القماش» برضه.. وما فيش مانع نلف عليها دوبارة.. وبعدين نغمسها فى «البلكّ».. اللى هوه «المازوت»

من الطين نعمل أشكال صلصال و«ترانات».. والأخيرة عبارة عن «دائرة طينية مخرومة بثلاث فتحات» بعد أن تنشف تحت صهد الشمس نقوم بإدخال خيط حرير «تو» ونشده من الأطراف.. وهكذا من «فخ» صيد القمرى المعمول من الحديد.. للسنارة الحديد برضه.. للاسكوتر الخشب وما كانش اسمه «اسكوتر» طبعًا.

كل شيء من الطبيعة.. وفى طبيعة الصعيد الذى كان أيام طفولتنا «فراشات» كنا نطاردها وطيور لا نقرب منها لأنها فى عرف أهلنا مقدسة.. ومنها «هدهد سليمان».. و«جمل السيدة زينب» والأخير لم يكن جملاً على الإطلاق.. هو مجرد فراشة ألوانها جميلة!!.

لسنوات ارتبط اسم «السيدة زينب» فى مخيلتى بهذا الطائر.. وبدعوات أمى لهذه السيدة التى تنصر العواجز.. والتى يذهب والدى سنويا لزيارتها مع «سيدنا الحسين».. ولما كبرنا قليلاً عرفنا أنهم «آل البيت».. وأن الأماكن التى تحيط بمقاماتهم مقدسة عند أهالينا.. وناسها طيبون.. «كفاية إنهم عايشين فى

ضل بركة أهل بيت النبي»!.

وحينما جاء الموسيقار النوبى الجميل أحمد منيب لقريتي.. وسمعت منه أغنية عمنا فؤاد حداد «الدنيا برد».. عرفت أنه يعيش فى السيدة زينب.. وأعطانى عنوانه كاملا لزيارته عندما أصل للقاهرة فى أى وقت.. ويا دوب سنتين وعملت فيها جدع - هجيب الديب من ديله بمشوار لحد السيدة - أخدت بعضى وجيت لعم أحمد منيب.. أحلم بعطف السيدة وبركاتها.. وبأن أصبح «شاعر زمانه» عبر بوابة الحاج أحمد منيب.

دخلت بيت الحاج مع صلاة المغرب.. كان فى حارة تقريبا بجوار «الرشيدى الميزان».. كان نزل يصلي.. وانتظرته مع صديق لم أقابله بعدها وإن عرفت أنه الشاعر الجميل محمد القصاص.. المهم عمنا أحمد جه.. وقعد يغنى حاجاته الجميلة ونحن فى غاية المتعة.. ثم توقف ليسمعنى ويعلمنى أول درس.. «مش كل اللى تعيشه تكتبه.. ومش كل اللى يقوله الناس يبقى غنا».. اكتب اللى الناس ما تعرفش تقوله مع إنها عايشاه!!، وخرجت حزينا رغم أن الرجل «أخد منى غنوة.. وبدأ فى تلحينها قدامى كمان:

«ياه عليكى لو ترضي

أبدر حبابيكى فى أرضى»

لكننى شعرت أنه لم يكملها وأنه «عشان ما يكسرش بخاطرى لحن المذهب.. لا أذكر ما تبقى من كلام.. يمكن خالد منيب يفتكر!!، ومن يومها ارتبطت السيدة فى ذهنى بكل ما هو جميل.

من سبعتاشر سنة تقريبًا أرسل لى المؤلف مصطفى إبراهيم سيناريو مسلسل اسمه «أجنحة الشمس».. وطلب أن أكتب أغنياته ليؤديها رامز جلال وحنان شوقى داخل المسلسل كإعلانات وفعلت ولم أعرف من هو الملحن.. حتى فوجئت بأنه عمنا الجميل اللى باسميه «جمل السيدة زينب».. إبراهيم رجب.. صاحب «يا ما زقرق القمرى على شجر اللمون، تعيشى يا بلدي، يا بلدنا لا

تنامي، صاحب أغنية فيلم «الكيت كات» الشهيرة اللى غناها محمود عبدالعزيز.. وصاحب مجاريح «هنقول ونعيد ع المجاريح» بتاعة محمد رشدي.. و«أنا عايز صبية يكون قليبها عليا».. من الآخر يعنى ده واحد من آخر الجيل المدهش بتاع الجملة الشعبية اللى ما لهاش زي.. وعرفت أنه ساكن هناك عند «الرصيف اللى فى السيدة بتاع عمنا فؤاد حداد».. وبالمناسبة عم إبراهيم هو نفسه ملحن أغنية «ولا غنى ولا صيت» بتاعة فؤاد حداد اللى غناها محمد قنديل.

دخلت بيت عم إبراهيم اللى بيطل على جنينة.. وجنب منه بيت أثري.. وأول الشارع قهوة من قهاوى السيدة ومحلات عطارة من اللى ترد الروح.. كنت قد حصلت على تليفونه وحددت الموعد.. ووجدتنى أمام قاعة كبيرة ظلمها أهل الموسيقى مائة مرة.

فى نفس البيت اللى عاش فيه الأبنودى مع عم إبراهيم وكتب وهيبة وبلديات وغيرها.. البيت اللى لحن فيه إبراهيم رجب لصلاح جاهين وفؤاد حداد.. نفس البيت ده فيه عشرات من الكراتين اللى فيها «نوت الموسيقي» الخاصة بفيلم «شيء من الخوف».. و«البيه البواب» وفوق الترابيزة الخشب اللى عمرها من عمر أولاد عم إبراهيم شرايط كتير فيها «حلقات شاعر عباد الله» اللى كتبها عمنا فؤاد حداد.. ومش بعيد عنها صورة لسيد مكاوى.

عرفت من عم إبراهيم الذى أصبح الآن «مهندس كمبيوتر» بيحول شرايط الكاسيت إلى سيديهات.. وبيعمل لنفسه موقع النت علشان يحط فيه أغانيه، أنه واحد من تلامذة سيد مكاوي.. وأنه أصلا اشتغل مدرس موسيقى فى الأرياف وطلع مع الشيخ سيد يغنى وراه فى الحفلات ويتعلم منه.. وأنه اتعلم بعد كده التوزيع والكتابة.. وأنه دخل المعهد بمسابقة عملها جمال عبدالناصر.. وراح مسرح العرايس اللى كان فى العتبة ومنه عرف شلة الفولكلور والغنا للشعب.

عمنا إبراهيم رجب اللى لحن لسيد حجاب والأبنودى ومجدى نجيب

وقبلهم فؤاد حداد وصلاح جاهين.. واللى غنى له عبدالحليم ورشدى وقنديل.. لا جوايز الدولة افتكرته - لأنه ما حدش رشحه - وهو لما تعب واضطر يركب جهاز ينظم ضربات قلبه.. واضطر إنه يتوقف عن التلحين والغنا كمان - بناء على نصيحة الطبيب - لم تسأل عنه نقابة الموسيقى ولا أى جهة فى مصر.. ولم يطلب الموسيقار الكبير الذى تعرفه جامعات العالم المحترمة علاجه على نفقة الدولة ولم يطالب بذلك أحد.

إبراهيم رجب اللى غنى بصوت المجموعة وصوت شريفة فاضل:

«والدك وناسك دهب.. يا بلدنا

رملك وطينك دهب.. يا بلدنا

عنبك وبلحك دهب.. يا بلدنا

قمرك وشمسك دهب.. يا بلدنا»

يتذكره الطين والرمل والبلح والعيش والشمس والقمر.. ولا يذكره ناسها إلا قليلا.. ورغم ذلك لم أشعر لحظة أن الرجل الذى قارب على التسعين غاضب أو حزين.

يوم ١ فبراير من عام ٢٠١٠.. يعنى بعد ستة أيام من بداية ما سميناه ثورة ٢٥ يناير.. فوجئ عم إبراهيم بلافتة كبيرة فى الميدان مكتوب عليها «والله لبكره يطلع النهار يا خال» وصورة لمحمد حمام.. فرح العجوز الجميل أن شبابا تذكروا أغنيته.. وفرح أكثر بعد علم بأنها أصبحت من تمائم هذه الثورة.. وزاد فرحة بعد ما سأل الشباب على الفيس عن ألحانه الأخرى لحمام «يا بيوت السويس يا بيوت مدينتي».. وما «بلاش».. وغيرها.. ووجد من الأجيال الجديدة من يسأل عن أغنياته على الزيبق التى لحنها للمجموعة:

قصر الوالى طبعا عالي

مليان حتى لو الكون خالي

بدهب وفاروز وكنوز فى كنوز

وإن شبعت بطنه اليد تعوز

وإن عازت يدّه السرقة تجوز

يضحك.. نبكى إحنا طوالي

أمال إزاى يبقى الوالي؟!

يفرح عم إبراهيم بمن يحدثه عن ألحانه التى صنعها من «روح الشعب» و«ريحة السيدة» لعشرات المطربين.. ويحزن لأن الناس الذين غنى لهم ولا يزال قد ينسونه فى زحمة ما يقاسونه.. لكنه مثل السيدة زينب لا يريد منهم ولا منكم سوى زيارة ولو مرة فى السنة.. كل سنة وأنت طيب يا عم إبراهيم.. ومدد يا طاهرة.. مدد.

إبراهيم عبدالفتاح..
ولا عمره ليلة بات فيها

أشهرها «الشهد والدموع» و«ليالى الحلمية» لصديقنا الشاعر حسن رياض اللى كتب أغنية «من غير ما تتكلمى» غنوة جميلة اسمها «بتنفس العمدان» الغنوة قديمة ومش فاكر مين كان بيغنيها.. بس اللى فاكره منها سطر بيقول «قلب البلد همدان» واللى بيفكرنى بيه دايما وسط البلد لو عديت فيه ومالقيتش إبراهيم عبدالفتاح.

وزى منا، مش ممكن أتخيل أن شوارع وسط القاهرة، من الممكن أن تخلو من أحباء لى من أمثال يسرى حسان.. ومحمود الحلوانى ومصطفى الجارحى، وأكرم مراد وطاهر البرمبالي.. مش ممكن أتخيل أن فيه بلد يبقى فيها شاعر زى إبراهيم عبدالفتاح ومتغنيش.

كتب إبراهيم عشرات الأغنيات ولم يخب ظني في أغنية منها.. لكنه كتب في العام الأخير وحده عشرات الأغنيات، فيما هو يجاهد لقمة العيش والغربة في الأردن.. أغنيات وقصائد إبراهيم الأخيرة التي كتبها على صفحته بالفيس بوك - وهذه إحدى حسناته القليلة.. الفيس طبعًا مش إبراهيم كأنه ادخرها ««لحين ميسرة» جميعها تبكى جميعها، أغنيات حادة وموجعة لكنه «يكتب عشان مبكيش».. ويبدو أنه غالب دموعه وقدر عليها.. لكنه لم يضع في حسبانه أننا سنمارس فعل البكاء بدلًا عنه.

إبراهيم من مواليد ٥٩ يعنى قرب يطلع معاش.. لكنه لم يلتحق بوظيفة يتورط فيها بفعل الحضور والانصراف، على حد تعبيره، اشتغل كثيرا بالكتابة

لمسرح الأطفال بالذات.. واشتغل في الصحافة الحرة - كما يسميها - بمعنى أنه مش مرتبط بعقد مع حد.. روزاليوسف، الوطن الكويتية، المجلة، سيداتى سادتى، العرب ومثلما أننا لا نصفه صحفيًا.. أعتقد أنه هو أيضا لا يعتبر نفسه كذلك.. مهنته الوحيدة هي الشعر.

شباك قديم.. ده اسم أول ديوان لإبراهيم واسم غنوة كتبها لحنان ماضى.. لكنه ليس مجرد شباك.. إنها عيون الشاعر الذي يعتبر فؤاد حداد إمامه، لكنه لم يكن من تلامذته مثل معظم أبناء جيل السبعينيات.. ورغم أنه عاش في «الوراق وإمبابة» بالقرب منه ومن شلة «تلاميذه».

الشباب القديم اللى بيبص منه إبراهيم شباك واسع جدا.. ربما هو أكبر من كل شبابيك الإمام الشافعى ومصر القديمة اللى اتولد فيها.

من ٢٥ سنة وأكتر، كتب إبراهيم عبدالفتاح أغنيته الأهم على الأقل من وجهة نظر أبناء جيلى - لما الشتا يدق البيبان.. وفيها أعلن:

«لكني باحتجلك ساعات».

إلا أن احتياجه هذا لم يقابله احتياج من الطرف الآخر، فظل يحبها من طرف واحد ٢٠ سنة كاملة كتب فيها لعلى الحجار وحنان ماضى وإيمان البحر درويش ووردة الجزائرية ورياض الهمشرى، طارق فؤاد ومدحت صالح.. وغيرهم.. ورغم كتابته لكل هذه الأسماء، إلا أن الجمهور «العادى» الذي يتنفسه عبدالفتاح لم يعرفه.. أو لم يتعرف عليه إلا عندما غنى له وائل جسار من ألحان زياد الطويل.

«ما تقولشي ضهرى يا ناس مكسور

بصحى في هموم وبنام فيها

ما النبي عاش يبني في قصور

ولا عمره ليلة بات فيها..

ما تلينش أبدًا وحايلها

المايلة تقدر تعدلها»

لم يلن إبراهيم.. لكنه لم يستطع أن يعدل المايلة أو هكذا اعتقد.

لا أذكر متى تعرفت على إبراهيم بالتحديد، لكننى أظن أن بعض الندوات كانت تقام في قصر ثقافة الغورى أوائل التسعينيات من القرن الماضى.. وأظن أننى تعرفت عليه في إحداها.. ورغم كل ما كان يشاع عنه من كونه «براوى» إلا أننى لم أجده كذلك.

وتصادف أن عملنا معًا في ألبوم مجنون بعشقك لأسامة الشريف الذي كنت أسكن معه.. وكان إبراهيم يسهر معنا بصحبة فاروق الشرنوبى وعدد آخر من الأصدقاء من الوسط الفنى.. وكانت هذه السهرات فرصة لاستمع لقصائده وأغنياته الممنوعة – بعضها مازلت أحتفظ بتسجيلات لها.

«يلى أنت أيامك بانجو

تسيب الأسكواش تلعب تانجو

من المنصة إزاى تنجو

إن لم تكون دافع أجرة

الله الله يا بدوى

هات اليسرى»

ومن قصيدة لأخرى يتأكد لى أننى أمام تجربة حقيقية من الشعر الخالص تحتاج لزمن آخر غير ذلك الذي نعيشه، تعثر إبراهيم في عمله غير الدائم بتلك المجلات.. وأعتقد أنه من سلالة الشعراء الذين لا يريحهم «الروتين الوظيفى» وربما أدى عدم استمراره في وظيفة معتادة، ساهم في عدم استقراره أسريًا.. لكنه مثل أغنيته في الفيلم الشهير «حين ميسرة» كان يصر على أن يأخذ حقه:

العيشة مرة لكن

أهى أحسن من مفيش

علب الصفيح مساكن

وفى قلب الموت بعيش

وإن تُهت حتلاقينى

حين ميسرة»

ملامح إبراهيم الطيبة مثل شوارعنا القديمة.. فيها شيء مريح لمن يشعر هو حياله بالراحة.. لكنها مثل «شوك النخل» تزعج من لا يحبونه لسبب أو لآخر.

«تندهنى وأندهلك

لما الحنين يهلك»

وكأن النداهة لا تتركه أبدا.. فكم من فرصة حقيقية سنحت لهذا الشاعر الكبير أن «ينام» على وسائد حريرية، لكنه لم يفعل؟.. كم من فرصة سنحت له بأن يعيش حياة مستقرة، لكنه لم يفعل.. لدرجة أننى كنت أشعر في بعض الأحيان أنه يتعمد ذلك، وكلما قررت محادثته في ذلك تذكرت أن عمنا فؤاد حداد ومن بعده الخال عبدالرحمن الأبنودى، وعمنا سيد حجاب لم يهنأ أحدهم بوظيفة مستقرة أبدا، وكان أولى بعمنا سيد وهو شخص دقيق ومنظم جدا أن يفعل ذلك.

وبمناسبة الأبنودى.. يعتقد كثيرون أنه كان على خلاف مع عبدالفتاح بسبب قصيدة ساخرة كان قد كتبها إبراهيم يندد فيها بالخال عقب موقفه من غزو العراق للكويت، وكتابة قصيدة الاستعمار العربى.. لكن إبراهيم وفى بيتى في شارع السودان أسمعنا قصيدة رائعة في محبة الأبنودى منذ سنوات طويلة – أعتقد منتصف عام ١٩٩٦ وحينما توفى الخال رثاه عبدالفتاح بقصيدة مدهشة،

وأعتقد أنه لم يفعلها مع شاعر آخر.. وأظن أن قصيدته الساخرة إياها لم تكن إلا مداعبة بين شاعرين.

مما لا يعرفه البعض عن عبدالفتاح، أنه صاحب تجربة مهمة في الكتابة الساخرة، وهذا ما لم يكشف عنه حتى الآن.. ولديه مجموعة من الأغنيات الرائعة في هذا السياق في مقدمتها «الأرض بتتكلم عربى.. وعربي سكت مبيتكلمش» التي لحنها وغناها فاروق الشرنوبى.. وغيرها من الأغنيات التي يحفظها «سماء الليالى القاهرية».. وربما يكشف إبراهيم عنها قريبًا.

في مرة من المرات كان إبراهيم يقود سيارة اشتراها مستعملة أو ربما هي سيارة زوجته الأولى - تزوج في المرة الثانية من الفنانة نورهان وله «طفلان» على ومعاذ.

وفيما هو في الطريق إلى مطلع كوبرى فيصل نسى «هيمة» أنه في السياره وأنه قائدها وأخرج كلتا يديه ليحادث أحد المارين بجواره ونجا من الموت بأعجوبة.

ربما لا يتذكر إبراهيم ذلك الأمر الآن.. لكنه حتما لا ينسى أبدا أن يطالبنا بأن:

«اضحك يا عالم وانتشى

النيل مضي هجره ومشى

ومصر بين الضفتين عريانة

تحت الشفتشى»

ولأنها كذلك.. ربما تكون إجابة سؤالي الذي بدأت به: إزاى فيه بلد يكون فيها شاعر كبير زى إبراهيم ومتغنيش؟! اكتب يا عم إبراهيم والنبى عشان مبكيش.

مدحت صالح..
الحاوي سليل الرفاعي!

وإحنا فى الصعيد منتصف الثمانينيات كان التليفزيون الأبيض والأسود من شركة نصر هو «الأملة».. يا دوب كل نجع فيه واحد.. وغالبًا كان التليفزيون ده عند واحد من كبار القوم.. وكان من الطبيعى أن تكون عملية إخراجه من المنزل إلى الدوار لمشاهدة «الماتش» أو «للقهوة» أمرًا غاية فى المتعة.. وكانت عملية شحن بطارية الجرار احتياطى ربما انقطع التيار وكثيرًا ما كان يفعل.. وعملية شحن البطارية كانت تقتضى الذهاب للبندر.. حيث محطة البنزين!!

ويوم الخميس - ليلة الجمعة يعنى - غالبًا كان هناك حفل غنائي.. أضواء المدينة أو ما شابه ذلك.. وفى واحدة من هذه الحفلات فوجئنا نحن الجالسين فى «باط الترعة» بصوت شاب نحيل مبتسم يغنى بطلاقة «غنى المزمار وقال ساعة بالحلو مال.. ما أحلاكى يا صبية يام الشوق والدلال» وأظن أن الحفل كان منقولًا من بنى سويف.

فى اليوم التالى كنت أسأل عنه.. وعرفت أنه صوت جديد ليس له سوى ألبوم وحيد اسمه «زى ما قالوا عينيك» ونشرت إحدى المجلات عنوانه فى شارع القدس الشريف بالمهندسين.. ومن عبطى أرسلت له خطابًا - كنت طالبا فى ثانوى - وتخيلت أنه سيرد.. وأخبرت أصحابى بذلك وظللت لأسبوعين أتلقى نكاتهم، لكنه نصرنى وجاءنى منه خطاب يطلب حضورى لمنزله ومقابلة السيد «نبيل صديق»!

وخدت توبى فى سنانى ونزلت القاهرة بعد ليلة غبرة فى قطر الدرجة التالتة اللى بيقف لكل اللى بيشاور له، ولأنى ما أعرفش مواصلة غير الأتوبيس ركبته

من رمسيس للوراق.. ومشيت من الوراق للمهندسين لحد ما وصلت الفيللا.. لم أكن أعلم أنه متزوج من المناضلة ليلى صديق ابنة البكباشى يوسف صديق «المفجر الحقيقى لثورة ٢٣ يوليو»، ولم أكن أعرف أن نبيل صديق هو شقيقها، لكنه قابلنى على كل حال، ولسوء حظى عدت للصعيد دون مقابلة مدحت، وإن انتظرت هاتفا منه أو من نبيل جاء بعد شهور، وفى أول مقابلة وجدت نفسى أمام «حاوي»، ذكى ولمّاح وابن بلد، وجدع، وفاهم، كانت مجرد مقابلة، وأعتقد أنه أول حوار صحفى فى حياتي، واتفقنا على أشياء كثيرة لم تتم، لكنه كان أول مطرب من لحم ودم أشوفه فى مصر. مرت سنوات وأنا أتابع نجاحه مع سامى الحفناوى وفاروق الشرنوبى ووائل هلال وعماد حسن، وأدمنت أغنياته «آسف على الأحلام، كان عمرها قصير، وبحلم على قدي، خاصمت الشوارع، كوكب تاني، تندهينى.. إلخ» وأصبحت شاعرا، ولى ألبومات فى السوق، وفى كل مرة ألتقيه أكتشف وجها جديدا من وجوه الحاوي، اللى جرابه ما يخلاش أبدا، ولو كنت عايز تعرف مدحت صالح بجد اسأله عن سيد مكاوي.

ولو عايز تعرف مدحت، لازم تعرف خالد صالح، وأحمد صالح، هذا الثلاثى المولود فى جزيرة بدران، صورة حقيقية لجدعان شبرا، الشقاوة اللى على أصولها، والجدعنة اللى على أصولها، وخفة الدم اللى ملهاش حدود.

فى إحدى الشقق الكثيرة التى عاش فيها مدحت، قابلته مرة فى شقة أظن أنها فى العجوزة، بالقرب من شهرزاد، أسمعته لحنًا لصديقى ممدوح صلاح، لم يعجبه الكلام فيما أظن لكنه بلطافة أولاد البلد، أخبرنى أن الأمر ليس بمزاجه، وأنه يريد كلاما جديدا وفى الوقت نفسه «يحب السوق»!!

مدحت صالح الذى تعلم فى الأزهر - سقط كثيرا جدا على حد تعبيره- يعرف «الكفت» فى الأغانى التراثية القديمة، ولم يترك أسطى من أسطواتها ولم يتعلم منه، لكنك لن تشعر بذلك أبدا حتى فى حفلات الأوبرا، وهو يغنى تلات

سلامات لقنديل أو غيرها لن تشعر بذلك، هو يغنى ما يحس أنه يريد قوله الآن، وكأنه أغنية جديدة من أغنياته الخاصة.

انتقل مدحت صالح بالاستديو الخاص به من شارع جانبي بجوار حديقة الحيوان، إلى شارع جانبى بجوار أكاديمية الفنون بالهرم، إلى شارع جانبى بميدان لبنان، وفى كل مرة يفاجئنى بتمثيله لدور «التاجر الشاطر» لكننى لا أصدق ذلك.

هو ممثل موهوب وإن كان ينكر ذلك، لكنه تاجر غير موهوب من وجهة نظرى، وإن كان ينكر ذلك أيضا، لأنه لو كان يريد التجارة لكان أغنى مطرب مصري الآن، فلم يكن هناك منتج واحد فى الوطن العربى لا يريد العمل مع مدحت الذى نجح فى كل شيء يخص الغناء. مدحت ليس مجرد وجه مبتسم، لكنه فى رأيى الصوت المبتسم الوحيد فى مصر، فهو فى عز ما يغنى للأحزان، لا بد أنك ستشعر بالبهجة فى حنجرته، فى «تنميلة حبال صوته»، وإذا كان كل شخص فينا قد منحه الله حبلين أحدهما كاذب والآخر صادق، فإننى أعتقد أن مدحت صالح يملك «حبلين صوتيين صادقين» تماما.

يلوم الناس مدحت صالح على تعدد زيجاته، وعلى عدم اهتمامه بالإعلام، وعلى غيابه كثيرا عن سوق الكاسيت -لم يعد موجودا الآن- لكننى أعتقد أنه يملك من المبررات ما كان سينهى هذا اللوم من «أذهان محبيه»، لكنه لم يفعل، ولن يفعل.

فى إحدي المرات القريبة كنت فى الاستديو الخاص به، وكانت هناك مطربة عربية وابنه الوحيد أدهم، وفاجأنى مدحت بأن أدهم قرر إصدار ألبومه الأول، فطلبت رأيه فيه، ففاجأنى أنه لم يسمع شيئا من أغنياته سوى أغنية كان قد جهزها أحمد فرحات لمدحت وأدهم طمع فيها، وأنه لا يحشر نفسه فى اختيارات أدهم على الإطلاق، وحكى لى أنه منذ وقت مبكر لا يتدخل فى حياة أدهم، وأن له فريقا من الشعراء والملحنين من جيله، وأنه يثق فيهم، وأضحكنى عندما

أخبرنى أن صور عمرو دياب فى حجرة أدهم فى يوم من الأيام كانت أكثر من صور مدحت وضحك!

تزوج مدحت منذ سنوات من شاعرة سكندرية على ما أظن، واعتقدنا أنها ستكتب له كثيرا، لكن هذا لم يحدث، ولم أفكر فى الأسباب، وتوقعت أنه نفس الشخص الذى أظن أننى عرفته منذ ٣٠ سنة تقريبًا، يعيش حياته ولا يريد للآخرين أن يتدخلوا فيها، مثلما لا يتدخل هو فى حياتهم، يعيش بقلب باسم، لا يعمل للزمن أى حساب، تغلبه النكتة وتصطاده «الكلمة الحلوة».

فى آخر مكالمة بيننا، عرفت أنه يجهز ألبومًا كاملًا لبهاء الدين محمد – الشاعر والمنتج معًا – وأنه يعسكر تماما حتى ينتهى منه، كنت قد اتصلت به لأهنئه بخطوبة «هانيا» ابنته الوحيدة، ولم أشأ أن أداعبه بأنه كده هيبقى جد قريب، لأننى شعرت أنه يتعامل مع الاستديو هذه المرة، وكأنه فى «مهمة شاقة» وهذه ليست عادته، مدحت صالح بيغني عادة وهو «سايب إيده» لا تشعر أنه يبذل جهدا، ويعيش حياته «زى المليونيرات»، ما بتفرقش معاه، لكن يبدو أنه «بيتغير»، على عكس ما كان يؤكد دائما.

«مش ممكن اتغير،مهما الزمان غير،ده هواكى متقدر، مكتوب على جبيني»

هو الآن فى مرحلة «نضج» أظنه وصل إليها منذ سنوات، لكننى أعتقد – وهذا ما لم يقله – أن السياسة التى يهرب منها طول عمره فى السنوات الخمس الأخيرة، أرهقته تقلباتها مثلما أتعبت كل العرب، وأن جراب الحاوى الذى كان يضع يده فيه، باعتباره مندوب الرفاعية، أوشك أن يصدمه بأنه قارب على النفاد، لكننى على العكس أعتقد أنه سيفاجئنا مثل كل مرة، فالحاوى لن يفقد سحره أبدًا.

«وراك، وراك يا شاطريا ملخبط المسائل،يا مقدم الأواخرومأخر الأوائل،اسمك ما عرفش اسمك ولا حتى شفت رسمك، ولا اتخيلت كثمك بعيدة من قريبه، لكن لازم حجيبه».

مجدي نجيب..
وِشّ القمر

قبل أن أشاهده رأْى العين لم أكن أعرف عن شكل الشاعر إلا صورة «جابر أبوحسين».. ولم يكن فى ذهنى لمن همسواه سوى تلك الصورة التى كانت تملأ الدكاكين الريفية لفارس عربى يمتطى جواده.. هو حتما واحد من الهلالية.. ولازم يكون معاه ربابة.. وحينما تطور الأمر قليلا كانت هناك صورة أحمد شوقى بك.. وفى أحيان أخرى أصدقاءعباس العقاد فى مسلسل سارة!!.

هذه هى صورة الشاعر التى كنت أعرفها طفلا.. فلما رأيت عددا كبيرا منهم فى قريتى لم تعجبنى «حالتهم» فهؤلاءحتما ليسوا بفرنسان.. كما أنهم لا يجيدون عزف الرباب.. ولم تدهشنى قصائد نزار قبانى وفاروق جويدة أبدا.. فحتى فروسيتهم المتخيلة بسبب غزواتهم لمخادع النساء.. قهرها الشاعر الشعبى الذى كنت أحفظ عنه.

كنت أحفظ اسمه من أغنيات شادية «غاب القمر يا بن عمي.. وقولوا لعين الشمس ما تحماش».. ومن أغنياتفايزة أحمد «آخد حبيبي».. و«قول للناس إحنا حبينا».. و«كامل الأوصاف» للعندليب.. وكمان «قسمة ونصيبوالحب رمانى» لهانى شاكر.. رغم أنى لم أحبها ولم أحب هاني.. لكننى كنت تعودت حفظ أسماء المؤلفين منبرنامج «ما يطلبه المستمعون» الذى كان يذاع فى السابعة والنصف بعد المغرب من «صوت أمريكا».. ولم أكن قدقرأت له شعرا كثيرا.. وإن كنت قد قرأت عنه رأيا كتبه فاروق شوشة يقول فيه ما معناه أنه والأبنودى

وسيد حجابفرسان التجديد فى قصيدة العامية.

وكان الشاعر الراحل د.أحمد أبورحاب عضو مجلس النواب قد أسس فرقة لأطفال العسيرات.. وأقام ليلة غنائيةمسرحية هم أبطالها قدموا فيها عرضا لفدوى طوقان وفؤاد حداد وعمر نجم والشاعر الفرنسى الكبير جاك بريفير.. وجاء مجدى نجيب بصحبة وفد كبير لمشاهدة العرض وكان من بين أعضاء الوفد فؤاد معوض «فرفور»..والموسيقار أحمد منيب والملحن محمد قابيل وآخرون.. وفى اليوم التالى للعرض أقيمت أمسية شعرية لعمنا مجدينجيب فى مجلس مدينة جرجا.. سمعته فيها لأول مرة يقول شعرا غريبا بالنسبة لي.. كانت الليلة هى إحدى لياليشهر فبراير من عام ١٩٨٧.. وجاملنى منظمو الندوة وقدمونى كمؤلف مبتدئ.. وسمعنى عمنا مجدى وأنا أرتعش..لأننى كنت وما زلت أعتقد أن ما كتبته كان «كلام فارغ».. فكيف بى ألقيه فى حضرة شاعر كبير هو أحد أهمأعمدة شعر العامية فى بلادنا!!.

انتهت الليلة وذهبنا لاستراحة المحافظة وفوجئت به «بينده عليّ».. وأجلسنى إلى جواره.. وأمام جمع من الناسفاجأنى «إنت هتبقى شاعر كبير».. تعالى أقعد جنبي.. وجلست بجواره لأسمع منه بعض الحكايات عن بداياتشعراء كبار وكيف أنهم قاوموا ولم ينهزموا مثله!!، وأننى يجب أن أفعل مثلهم.. وبمودة غالبة طلب أن أكتب له ماألقيته فى الندوة!!، وفعلت.. «بعدها بأسبوعين فوجئت به ينشر ما أخذه منى على صفحتين بمجلة الإذاعةوالتليفزيون بمقدمة أظنها أجمل ما كتب لى وعنى فى حياتـي!!، مع صورة كبيرة لي.

وبعد شهر كنت أزوره فى منزله.. أشكره وأسمع منه حكايته مع محمد منير.. وعبدالحليم وفايزة وشادية.. وصباح..ووردة.. حكايته مع الرسم وقصة كل لوحة تزين منزله.. قصة مع الكتابة والرسم للأطفال.

كان يحكى لى وكأنه صديق.. واستمرت هذه الخصلة فيه لسنوات.. وحين جئت لمجلة الإذاعة والتليفزيون صحفيالم أكن أتخيل أننى سأعمل معه.. وأننى

فى العدد الأول فى وجوده يخبر القسم الفنى بأننى مسئول عن الصحفيين.

وطوال فترة عمله معنا فى «المجلة».. كان يحكى لى كيف أن صديقه الأهم عبدالرحيم منصور كان يجلس علينفس الكرسى الذى أجلس عليه.. وأنه كان يفطر ها هنا «فول وطعمية» رغم أنه لم يكن صحفيا بالمجلة، وحكى ليكيف أنه لم يكن ينوى كتابة الأغانى وأن عبدالرحيم حاول إقناعه بناء على طلب بليغ حمدي.. وأن بليغ تحداه أنيستطيع الكتابة على لحن «قولوا لعين الشمس» وأنه لم يكن يتخيل نجاحها وأن الموضوع كله كان عندًا فى بليغ.

وحينما زهق مجدى من الروتين السخيف فى المجلة ومن تفاهات الصغار «سوّى معاشه».. وراح ليعمل مع هالةسرحان فى مجلة «سيدتي» ولما غضب منها -قلب الترابيزة ومشي- رغم أن شقته كانت قد احترقت بكل ما فيها.. كنت قد شاهدت عشرات التحف فى «شقة الدقي» ومنها «سيف» أهداه له الملك قابوس.. لكن شيئا لم تبق عليهالنار.

وفى ليلة من ليالى السهر بمكتب فاروق الشرنوبى بشارع العشرين جاء عم مجدى وجلست على الأرض أسفل مايجلس وأمامى فاروق يعزف ويغنى وبجواره المطرب خالد شمس.. وفجأة وجدت مطرا ينهمر على «عنقي» فنظرتللأعلى لأجد عيون عمنا مجدى وهى تهطل دمعا.. لم أتململ من مكانى وكذلك فاروق الذى كان يغنى «كاملالأوصاف» وبالتحديد:

«قالوا الصبر.. بحوره بعيدة».

وبعد ما انتبه فاروق توقف.. وطلب منى والشاعر إبراهيم عبدالفتاح أن نوصل عم مجدى الذى كان فى حالصعبة.. لم نشأ أن نسأله.. لكننى ألتقيته بعدها بشهور وعرفت أنه كان حزينا بسبب تصرفات محمد منير.

كان عمنا مجدى هو الوحيد تقريبا من جيل الآباء الذى استمر فى الكتابة لمنير منذ ألبومه الأول «بنتولد»..واستمرت أغنياته من «سؤال بسألك إيه آخرة الترحال» و«شد القلوع يا مراكبي» إلى «ممكن وليل وإذا كان لزاماعلينا

الرحيل» وغيرها.. وكعادة منير المجنونة «طلّع عين عمنا مجدي».. لكن الأخير والذى يملك قلب طفل فيمدينة لا تعترف بالأطفال لم يكن يغضب من منير أبدا- ولا من غير منير- هو فقط يرسم ويكتب.

بعدها بسنوات قابلته فى عزاء شقيق محمد منير.. جلست أمامه.. وبحلق فىّ لدقائق قبل أن يتذكر أنه يعرفني!!،قمت واحتضنته وعاتبنى «اسأل عليا».

الرجل الذى علمنا أن «الحزن شاطر.. والفرح شاطر.. ولكنى قادر فى الحزن أفرح» غلبه الحزن.. ولم تفلحمطالبات ياسر رزق باستكتابه وجعله يرسم بشكل شبه يومى للمصرى اليوم- فى كسر عزلته.

لم تستطع سنوات الاعتقال فى الواحات أيام عبدالناصر أن تهزم مجدى نجيب.. وخرج شاعرا ورساما وصحفياوإنسانا.. يوزع محبته على الجميع.. لكن يبدو أن براح أيامنا استطاع أن يفعل ذلك ويهزم الفارس الذى يمتطيالجواد فى «رسومات دكاكين قريتي».. وفى قلب مجدى نجيب

«ضهر القمر.. بينخ

فوق ضهر الوله..

وشه الحزين لامس

شفايف وردتي

ملّس على كتافى ورقد

يا وحدتي..

وكأنى لسّه بَتولد».

معضاض مؤيد القاسم.. الشهرة مجد

من منا لا يحب القدود الحلبية؟ من منا مابيدورش على المشمش الحموى؟ طب مين فينا مش نفسه فى الزيتون السورى. شىء ما أعمق من الوحدة التى أبرمها جمال عبدالناصر يربط بين المصريين والسوريين، وربما لهذا لا أستغرب أن يعيش بعضهم بيننا وكأنهم فى بلادهم والعكس.. سواء فى هذه الظروف الصعبة التى تمر بها دمشق.. أو فى الأيام العادية.

ومثلى مثل معظم المصريين أحب «العيش الشامى».. والجمال الشامى.. والغناء الشامى أيضا.. ولذلك كان من الطبيعى أن أحب صوت «مجد القاسم» من أول مرة سمعته فيها.

أول ما سمعته لمجد.. لم يكن أول ما قدم للساحة من أغنيات.. لكنه أول ألبوم نجح له «بأمر الهوى» وكان قد ضمنّه أغنية «حيرت قلبى معاك» لأم كلثوم.. لأجد نفسى أمام صوت شجى وقوى وحالم فى وقت واحد.. وعرفت أن هذا المطرب السورى الذى صار نجمًا فى أسبوع موجود بالقاهرة منذ ٣ سنوات شرب فيها الكوتة.. لكنه كعادة معظم السوريين لا يشكو، يعمل فقط حتى يصل إلى ما يريد.

وتابعت الرجل خمس سنوات كاملة دون أن أعرفه بشكل مباشر.. حتى فاجأنى الموسيقار الشاب ممدوح صلاح بأنه وجد تيمة جميلة صنع منها موسيقى لحن صعب يصلح لمجد القاسم.. وطلب منى أن أكتب كلامًا على اللحن وحصل أن كتبت المذهب والكوبليه الأول ومضيت إلى حال سبيلى.. ولم أتوقع أن يكون اللحن من نصيب مجد، حتى فوجئت باتصال منه وأنا فى جريدة «الجيل» بنقفل العدد، يطلب حضورى للاستديو فورًا لأنهم عايزين الكوبليه التانى، لم يكن الأمر صعبًا لكنه كان مفاجئًا.

فى الطريق من وسط البلد وحتى استديو نصر محروس فى مدينة نصر كنت قد كتبت الكوبليه:

أنا إيه طول ما أنت عنى بعيد

أنا مين يفهمنى غيرك..

لو أعيش عمرى اللى باقى وحيد

أنا أموت ولا أحب غيرك.. إلخ.

وهناك وجدت ثلاثة أشقاء لا يمكنك إلا أن تبادلهم محبة ربانية.. مجد، فضل، محجوب، وانتهى التسجيل ومضيت لحال سبيلى، ولم أسأل متى ستنزل الغنوة للسوق.. ومرت شهور حتى فوجئت بمجد يطلبنى للذهاب إليه.. ويخرج ظرفًا به - أجرى - ويطلب التنازل المعتاد فى الشهر العقارى.. فأخبرته أننى أعلم أنه لم ينته من ألبومه بعد.. ليه الاستعجال.. فضحك وقال «عرفت إنك مسافر تخطب.. المفروض نروح الصعيد نعملك الفرح.. وعشان أنت ما عزمتناش على الأقل تاخد أجرك اللى كان لازم تاخده من فترة».

المهم طلبت الاسم بالكامل من مجد حتى أسجل له التنازل، وفوجئت به يقول معضاض مؤيد أحمد القاسم، وكدت أضحك لكن محجوب شقيقه سبقنى وحكى لى الحكاية.

هم أحد عشر أخًا وأختا لأب وأم من أبسط عائلات محافظة السويداء فى سوريا، أسرة بسيطة تحب العمل والموسيقى، أخوه الأكبر فيصل أصبح مذيعا شهيرا فى قناة الجزيرة، تسبب فى مشاكل جمة لمجد بعد ذلك، وسعود عازف عود ماهر وصاحب صوت جميل وكذلك محجوب.

المهم وجدت نفسى بين ناس كأننى أعرفهم من سنين طويلة.. يعشقون كل شىء مصرى.. من أول الطعمية السخنة لحد الفطير المشلتت - طلب فضل الوحيد من الصعيد - وعرفت أن «الحماصنة» فى سوريا مثل أهل الصعيد حتى فى النكت، وعرفت أيضا أنهم هم أنفسهم من يطلقون هذه النكات.

جاء مجد إلى القاهرة بناء على نصيحة الموسيقار سيد مكاوى الذى كان قد سمعه فى بيت المطرب الشهير فهد بلان، جاء ليدرس الموسيقى فى معهد

رمسيس ويبحث عن «الضوء».. جاء وحيدًا إلا من دعوات أهله ومائة دولار وشنطة هدوم.. وفى المطار تم توقيفه لأن الدولارات طلعت مزورة.. وشاف يوم أسود كان كفيلًا بأن يعيده إلى بلاده.. وبمجرد خروجه من المطار بعد ثبوت عدم علمه بتزوير النقود اتصل بشقيقه فيصل الذى كان يعيش ويعمل فى لندن.. وحتى وصول «الحوالة» - بعد أسبوع - ظل مجد فى لوكاندة بسيطة يخشى ألا تصل حوالة أخيه.. وطوال عام كامل راح يبحث عن فرصة.. يغنى فى الحفلات الخاصة ليعيش ويدرس.. حتى جاءت الفرصة من حفل ذهب إليه مجاملة لتحية النجمة ماجدة الصباحى، هناك استمعت إليه ابنة عاطف منتصر صاحب «صوت الحب» وأعجبها صوته وأعطته موعدًا فى الشركة التى أنتجت له كوكتيل خليجى لم يسمع به أحد.. ثم ألبوم «ما بيدى» ولم ينتج أيضًا.. كان الأمر كفيلًا بأن يأخذ الرجل شنطة هدومه ويرحل.. لكنه فوجئ بمجىء شقيقيه محجوب وفضل وقرر ثلاثتهم الاستمرار، حتى جاءت «بأمر الهوى» ليصبح مجد نجمًا.

بعد ٣ سنوات من هذا النجاح الذى تأكد بألبومين بعدها قدم خلالهما ألوانا متعددة تثبت جدارته وقدراته كمطرب وملحن موهوب قرر الزواج.. إلا أن الظروف أبت إلا أن تصدمه فاحترقت شقته بالكامل بماس كهربائى.. ومجددًا صمد أمام محنته وأكمل سكنه وكأن شيئًا لم يكن.. ثم كان أن دفعت السياسة شقيقه فيصل وبرنامجه «الاتجاه المعاكس» لأن يتسببا فى حرمان مجد من دخول عدد كبير من البلدان العربية التى هاجمها أخوه فى برنامجه.. ووصل الأمر إلى منع مجد من دخول تلك البلاد.. ثم منعت مصر أيضا أغنياته.. وعبثًا حاول إقناع الجميع بأنه لا يؤيد شقيقه فى آرائه السياسية.. وأن لكل منهما ذمته المالية وأفكاره.. وأنه مطرب وملحن لم يعرف يومًا سوى «رنة العود».. وتحمّل مجد عملية منعه حتى نجح مجددًا فى إزالة سوء الفهم.. ونجح محجوب فى أن يعمل ويصدر ألبوما أيضا وأصبح فضل أول مدير لأول محطة سورية غنائية تصدر من القاهرة.. وأظن أنه افتتح شركة إنتاج بعدها.

هذه العائلة السورية المحترمة.. مجرد نموذج لهذا الشعب الذى يصبر على «غصة» الزمن.. ويتفاداها ويغلب جروحه بالفن والحب والعمل.. «صديقى معضاض».. لا تحزن.. قريبًا ستعود إلى سوريا.

وستعود سوريا إلينا.. صدقنى.

محمد محيي..
المظلوم

أصابنى بليغ حمدى بهوس منذ فترة مبكرة.. لم أكن أعى ذلك.. لكننى ظبطت نفسى متلبسًا بحفظ كل ما تقع عليه أذنى من ألحانه.. والأغرب أننى أيضًا تنبهت مبكرا لرائحتها.. وإذا ما شممت أى «شبه» فى أغنية لملحن آخر تكون قد مرت من جوار بيت بليغ أجدنى متلبسًا بمحبتها أيضًا.

ورحت أفتش عن كل شيء يخص بليغ.. كلمات أغانيه التى كان يكتب بعضها.. وسيرته الشخصية أيضًا.. وعرفت أنه أصلًا من سوهاج.. من إخميم بالتحديد.. وأنه ولد وعاش فى شبرا... وكذلك محمد محيى.

هتستغرب إيه اللى جاب محمد محيى لحد بليغ حمدى.. والإجابة: نفس اللى جابنى عند محمد محيى؟!

كنت قد تعرفت على عصام كاريكا فى وقت مبكر جدًا.. وعرفت أنه من مصر القديمة.. شاب مصراوى جدع.. يعرف الكُفت.. وبيحب كل حاجة.. من أول الكورة لحد بليغ حمدى.. ويعمل أى حاجة لها علاقة بالموسيقى.. وقتها كان على ما أعتقد لا يزال يعمل مديرًا لفرقة حكيم الذى كان قد أصدر لحنًا نجح بشكل مبهر لعصام أظنه «بينى وبينك خطوة ونص».. المهم إنى فى يوم صيفى من أيام عام ٩٣ وكنت مستنى العربية الميكروباص اللى هتوصلنى من جرجا إلى بلدتى العسيرات لحد ما تكمل تحميل الركاب، وجدت أن طوفانًا فى موقف العربيات اسمه «هعاتبك على إيه.. ولا إيه».. وشممت رائحة بليغ حمدى فى اللحن.. أظن أن هناك تشابها ذكيًا مع «ميتا أشوفك»..

ومقطع «ليل يابو الليالى»، وسألت الركاب عن المطرب فأخبرونى أنه محمد محيى.. وزاد بعضهم وأخبرنى أنه صاحب ألبومين قبل هذا الألبوم.. واكتشفت إنى جاهل بأهل «الكار».. رغم أننى كنت قد عملت فى «المجال» فعلًا.

وبمجرد عودتى من الصعيد اتصلت بكاريكا.. وكنا قد تعارفنا لكننا لم نعمل معًا.. واكتفى هو بصعيدى واحد.. شاعر بلدياتى جميل اسمه سمير زكى - لا أعرف أين هو الآن-.. وباركت له على أغنية محيى وطلبت منه مقابلته.. وكانت المفاجأة الأولى أنه بلدياتى من نفس «المركز».. المنشأة.. وأنه «بليغى» زى حالاتى.. والأهم أنه تتلمذ وأحب واتعذب «واتعود» على صوت على الحجار ومحمد منير.

وجدت نفسى فى بيت كأنى أعرفه من زمن.. والد محيى - بلدياتى - رجل طيب جدًا - رحمه الله - كان يعمل فى السكة الحديد.. غادر المنشأة منذ سنوات لكنه لم يقطع رحمه.. ومثل كل أقرانه من أبناء الطبقة الوسطى الذين سكنوا فى شبرا لم يكن عنده مانع، وهو الرجل الذى يحفظ القرآن، من أن يلتحق ابنه «محيى» بمدرسة الراهبات - تعلم منها الترانيم - فى الوقت نفسه أسند مهمة تحفيظه القرآن لأحد أصدقائه من الشيوخ.

كان الرجل وزوجته يسمعان الراديو جيدا.. ولهما ذوق خاص جدًا فى الموسيقى.. ربما لهذا السبب لم يجد «محمد» أى صعوبة فى التعامل مع المدارس القديمة فى الغناء من أول داود حسنى وعلى محمود وسلامة حجازى مرورا بسيد درويش وكامل الخلعى وعبدالوهاب وحتى الموجى والطويل وبليغ.. وقبلهم طبعًا محمد فوزى.

لم أذهب إلى محيى فى بيته فى شبرا.. فقد انتقل إلى شقة لطيفة وبسيطة فى شارع عباس العقاد.. وانتقلت أسرته البسيطة لتعيش معه.. هو شخص بار جدًا بأسرته ولا يستطيع الابتعاد عن أفرادها ولو ليوم واحد.. خصوصا شقيقته الدكتورة منى.

ولم أكتشف كل أسرار ذلك «الشبراوى» من أول مرة.. لكننا - حتى وإن لم نلتق - كنا نتهاتف.. ووجدت فيه ميزة لم أجدها إلا عند المطربين الكبار.. هو لا يخجل من عمل قدمه على الإطلاق.. وعنده قدرة عالية جدًا على الاستماع للآخرين، قليل الكلام إلا إذا سألته.. كما أنه شخص عنيد ومغامر، ويعتقد أنه سيصل لما يريده مهما كان الثمن ومهما طال انتظاره، ولهذا يظن البعض أنه كسول.. محيى لم يصدر أى عمل فنى منذ ٩ سنوات كاملة.

تعودت أن أستمع إليه.. وإلى تجاربه التى يعدها لنفسه وعلى حسابه حتى يقرر اسم الشركة التى «سينزل» معها.. سمعته عام ٢٠٠٠ تقريبًا وهو يعيد توزيع أغنية الكبيرة وردة «اسمعونى».. وأعتقد أن التوزيع كان لمحمد عرام.. وسمعت فى نفس الوقت «يالأسمرانى» رائعة فايزة ومحمد الموجى.. وقتها لم يكن أحد قد فكر فى إعادة توزيع الأغنيات القديمة لكبار الملحنين باستثناء الحجار ومنير.. وبالمناسبة محيى يعشق لحن «عود» لأحمد الحجار.. ويغنيه كثيرًا فى جلساته الخاصة كما يغنى من الفولكلور المصرى كما لو كان «ماسبيرو» مكتشف الفولكلور!! وربما لهذا استدعى الشكل البدوى فى «لالى» والصعيدى من حفنى أحمد حسن فى «مظلوم» وغيرهما.

حدث وأن اختفى محمد محيى منذ عام ١٩٩٧ حتى ظن البعض أنه قرر الاعتزال.. ولأن محيى رجل غير اجتماعى بالمرة.. هو يعيش مع أصدقاء شبرا.. ويذهب إلى جنوب سيناء باستمرار.. لكنه لا يظهر فى حفلات اجتماعية إلا نادرًا.. كما أنه يعتقد أنه مطرب لا يصلح لغناء الأفراح - مساحة شجن غير عادية فى صوت محيى - ولذلك لم يقبل لسنوات أن يضعه المتعهدون على أجنداتهم.

المهم وقتها.. انصرف المنتجون عن الرجل، ورغم أنه كان قد سجل ١٤ أغنية على حسابه بالفعل إلا أنه كان يخجل من مجرد عرض ما لديه على منتجين هو يعرف أنهم يعرفون قيمته جيدًا.. لكنه محيى الخجول رغم جرأته الشديدة

فى اختيار أغنياته من أول دويتو شارك فيه أحمد الجبالى وحتى «شارع الهوى» التى أحدثت صدمة فى الشارع الغنائى لحظة نزولها.

المهم سألته بعفوية عن المنتج.. ومتى سينزل بالألبوم، وفاجأنى أنه ماعندوش منتج!! فعرضت عليه أن أتحدث مع أحدهم.. وفوجئت أنه لا يغالى فى طلباته على الإطلاق.. وأنه لا يمانع فى ذلك بشرط وحيد هو عدم إهانته.. ورغم فرح المنتج الذى حدثته.. إلا أن حدثًا جرى فى نفس اليوم غير مسار الألبوم.. حيث التقى صدفة بنصر محروس الذى سألته «يا عم مش هنشتغل مع بعض».. وكان أن صدر «صورة ودمعة» لينجح بشكل مبهر كعادة ألبومات محيى.

تسع سنوات كاملة.. اختفى فيها صديقى الذى سميته «شبرو» وهى الاسم القديم لشبرا ومعناها العزبة أو البستان.. لأننى أظن أنه يملك الكثير سواء كملحن أو كمطرب مميز فى «بستان الموسيقى المصرية».. تعرض لظروف أسرية مؤلمة ولقصص إنسانية أخذت من وقته الكثير.. وأجهد نفسه وهو يحاول أن يتوافق مع مزاج المصريين الذى تغير مائة مرة فى السنوات الست الأخيرة عقب ما عرف بالربيع العربى.. وفى النهاية هو يعمل.. ويستعد للعودة بعد غياب طويل.. وأعتقد أنه سينجح مثل كل مرة.. فقد نسيت أن أقول لكم أنه يشبه بليغ أيضًا فى شيء آخر وهو «القصر».. لكنه ليس مكيرًا.. بل دعا له والداه بأن يلازمه النجاح أينما حل.

مجدى العمروسي..
الصندوق الأبيض

شيء ما كان يدفعنى لعدم الاقتراب من ذلك المغنى الكبير الذى طبقت شهرته الآفاق، ولم أتعاطف أبدًا مع قصة مرضه وكنت أحسبها من دواعى الشهرة وأدواتها التى يستخدمها أهل الفن لجذب الأضواء إليهم.. لكننى فى الوقت نفسه لم أكن أستطيع أن أتجاهل أغنياته الوطنية المدهشة لثورة يوليو ورحلتها، رغم أننى أحيانًا كنت أعتقد أن البطل فيها صلاح جاهين وكمال الطويل، وأرى أن حليم لم يكن أكثر من مجرد برواز وفاترينة.. بل زاد الطين بلة أننى اعتبرته رجل السلطة الذى لم يستطع الدفاع عن شاعره، حينما اعتقله نظام عبدالناصر، واكتفى بأن يرسل له السجائر المارلبورو.. ظل هذا الأمر يحيرنى سنوات قبل أن أدرس الموسيقى، وأعرف بعض أسرارها، وأكتشف ذلك الكنز الكبير الذى أضافه الرجل لمسيرة الغناء فى بلادنا.. وفى كل كلمة كنت أقرأها عنه أو حكاية أسمعها.. كنت أجد ذلك الرجل الخفى اللى اسمه مجدى العمروسي.

ذلك المحامى السكندرى الذى ترك مهنة المحاماة، ليصبح رفيق رحلة العندليب ورأسه الذى يفكر.. وذراعه التي تسنده وعقله الذى يدير.. وكان من الطبيعى، وأنا أعمل محررًا لشئون الموسيقى أن يجمعنى به لقاء أو أكثر.. لكننى لم أتخيل أبدًا أنه سيكون أخًا وصديقًا لى ولو لمدة يوم واحد.

كان مقر شركة «صوت الفن» لأصحابها عبدالوهاب وعبدالحليم ووحيد فريد فى شارع عدلى بوسط البلد، مش مجرد مكان للتجارة..

كان أشبه بالثكنة العسكرية.. يعنى ما ينفعش تروح وتطلب تشوف حد كده.. لازم ميعاد مسبق.. ومش ممكن تتأخر عن الميعاد ده دقيقة واحدة.. ولو حكمت الظروف ورحت هتشوف العجب.. تقريبًا كل الأسماء الكبيرة فى عالم الموسيقي.. يعنى ممكن وأنت خارج من الأسانسير الحديدى العتيق تلاقى نفسك وش كده مع عمنا محمد الموجى، وهو خارج زعلان عشان العمروسى مرضيش يزود أجره.. أو أن الست نجاة موجودة جوه.. فمفيش حد يقدر يعدى قدام الطرقة.. أو أن الأبنودى قالبها مسخرة فى أوضة عم ممدوح المدير الإداري!! أو أن المخرج الكبير حسين كمال مش عارف بيعمل إيه.. لم تكن مجرد شركة، بل عالم موسيقى كامل إن دخلت إليه فقدت نصف عقلك.. ولن تسترده بسهولة.

فى تلك الفترة أصدر مجدى العمروسى كتابًا عن عبدالحليم أسماه «أعز الناس».. ونفدت طبعته الأولي.. وكتبت عن «الكتاب» وعن الرجل الذى كتبه.. وفوجئت فى الطبعة الثانية بمقالى مضافًا إلى الكتاب وبرسالة رقيقة من الرجل.. وطلعت فى دماغى أعمل الكتاب مسلسلًا للإذاعة.. وذهبت لأحصل على موافقة العمروسى «كتابة».. ولم يستغرق الأمر دقائق.. وهذا الأمر زاد من حيرتي.. المهم كتبت حلقتين وسلمتهما للمخرج ثروت رضوان ـ أو لنجوى أبوالنجا ـ باسم «عصفور الشتا» واتصلت بعم مجدى لأخبره أننى أريد أن أسمعه صوتًا جديدًا.. وحدد لى الموعد.. وبمجرد أن انتهى من سماعه، وكان معى الموسيقار فاروق الشرنوبي.. أرسل فى طلب نسخة من عقد أصالة ـ

كانت قد وقعت مع الشركة ألبومها الأول ـ وأخبرنى أنه سيتعاقد مع أسامة الشريف بنفس الشروط.. وسألنا ماذا تريدون غير ذلك؟.. وكان الرد «الاستديو وفرقة أمير عبدالمجيد».. وكان أن سجلنا أغنيات ألبوم «مجنون بعشقك».. وفوجئت أن الرجل لم يبخل أبدًا فى أى شيء طلبناه.. بل العكس.. حينما قررنا أن يشارك أسامة فى حفل أضواء المدينة.. أرسل السائق الخاص به ليكون تحت أمره.. وأرسل من منزله طعامًا مسلوقًا.. وصحيًا حتى لا يأكل

مطربه ما يتعب صوته.. وأرسل صورًا ومادة صحفية لكل الصحف.. وحدد مواعيد مع مخرجين كبار لاستضافته فى برامج.. والأهم.. أنه لم يكن يغيب لحظة واحدة ليسأل عن «البرد».. و«الكحة».. والسهر.

وقتها عرفت لماذا نجح عبدالحليم.. هذا الرجل البدين - كان يمشى على عكاز فى أيامه الأخيرة.. الذى يذهب للمستشفى ومنها إلى المكتب، ثم إلى الاستديو.. هو «كلمة السر» التى صنعت ذلك المجد الذى لازم عبدالحليم ولا يزال.

المهم أننى كنت قد كتبت أغنيتين فى ألبوم أسامة، وبما أننى كنت قد قدمته للرجل، فلم أنتظر أن أحصل على أجر.. وكنت أعتبر مجرد مشاركة الأبنودى فى الألبوم مكسبًا ندفع نحن فيه فلوس.. ولأننى تعرضت لفترة سجن استمرت ٨ شهور.. لم أكن أتوقع أن يسأل العمروسى عني.. لكنه عرف من الأبنودى ذلك.. وحينما أرسلت الزميل خالد حنفى - رئيس تحرير مجلة الإذاعة حاليًا - إليه أطلب مجموعة من الشرائط.. فوجئ خالد بأن الرجل يخبره بأن الشركة مديونة لي.. وأنه يحتاج إلى توكيل منى له ليصرف له أجري.. وفوجئ خالد بالرجل يمنحه أجرى وكرتونة شرائط ويخبره بأنه تحت أمره فى أى وقت «لو عُزت» أو هو أحتاج إلى أى شيء.. وأن محاميه الشخصى جاهز فى أى وقت.

وحينما سمحت ظروفى بأن أذهب إليه بعدها لأشكره.. فوجئت به يقول لي: «أنا أول مرة شفتك أنت وأسامة داخلين عليَّ.. افتكرت حليم وعبدالرحيم منصور».

وتعب العمروسي.. واختلف شركاء «صوت الفن»، ودخل الورثة فى نزاعات قضائية.. وفرضت الحراسة عليها.. لكنه ظل حتى آخر يوم.. وفى كل عيد ميلاد.. أو وفاة للعندليب.. يحتفى بذلك لدرجة أنك كنت تشعر أن العندليب موجود بيننا.. أخبار جديدة.. وذكريات تنشر لأول مرة.. وأسرار لا يعرفها أحد.. يمكنك مثلًا أن تتذكر واقعة مفيد فوزى وزوبعته الخاصة

بزواج العندليب من سعاد حسني.. وفى كل مرة يخرج من صندوق العمروسى الأبيض ما لا تستطيع الصحافة والتليفزيون أن تتجاهله.

فجأة غاب العمروسي.. فغاب عبدالحليم.. ولم نعد نحتفل بذكراه كما كان يحدث.. وأغلقت «صوت الفن» وحاول محسن جابر إنقاذ ما تبقى بشراء «حصة أصحابها».. لكن شيئًا كان قد انطفأ.. ولم يعد المبنى المواجه لسنترال عدلى يصدر أنغامًا.. ارتفع ضجيج السيارات القادمة من القبة حتى لم يعد ينافسه سوى صوت الأسانسير الحديدي.. غاب العمروسي.. لكن صندوقه الأبيض ما زال يحتفظ بالكثير.. لكننى لا أعرف قطعًا أن ترك العمروسى مفتاحه!

هدى عمار..
سبحة الترانيم

ليس عندى متعة فى الدنيا تعادل متعة القراءة إلا حضور اللحظات الأولى فى صناعة أى لحن جديد فى الاستوديو: وعشان كده صعب جدا إنى ما أكونش موجود لحظة تسجيل أى أغنية جديدة ليا.

ومن المرات القليلة جدًا اللى ماقعدتش فيها مع الملحن وهو بيشتغل فى كلام غنوة تخصنى كان مع المطرب الملحن الجميل طارق فؤاد.. والموضوع جه كده.. ماكانش رغبة منه ولا رغبة منى.

كان النجم طارق الدسوقى قد قرر مشاركة السيناريست مصطفى إبراهيم فى إنتاج مسلسل اسمه «الفسطاط» أخرجه وفيق وجدى.. وأبلغنى الدسوقى برغبته فى أن أكتب أشعار المسلسل.. المهم ربنا كرم وانتهيت من الكتابة قبل أسبوع واحد من مغادرتى القاهرة إلى الصعيد لحفل زفافى..

خدت بعضى ومشيت بعد ما خدت من طارق «عربون» اعتبره هدية زواجى.. وعرفت إن الكلام راح لطارق فؤاد وقد كان متألقا سنتها مع إبراهيم عبدالفتاح فى تتر مسلسل «الجبل» على ما أعتقد..

اتجوزت ورجعت وعرفت إن الألحان تم تسجيلها ومش فاضل غير إن «هدى عمار» تيجى «تركب صوتها».. وتحدد ذلك فى استوديو كان يملكه مدحت صالح بجوار أكاديمية الفنون بالهرم..

كنت قد كتبت البداية والنهاية.. و١٤ أغنية داخلية هى عبارة عن أحلام

تعيشها البطلة «نرمين الفقى» فى خيالها.. والمفروض أن تكون هدى هى لسان حالها..

وأنا فى الطريق للاستوديو.. خشيت أن يكون كلامى الذى كتبته أقل من هذه الحنجرة الفريدة.. هدى عمار صوت غريب ونادر.. قدمها عمار الشريعى فى مجموعة أغنيات ومنحها اسمه لقبًا لها.. لكنها قليلة العمل والتواجد.. تظهر مرة فى العام ثم تختفى بلا أسباب واضحة.. وكنت قد افتتنت بطريقة غنائيها لنهاية فيلم «كتيبة الإعدام» التى كتبها عمنا «سيد حجاب» - «حبيتى من ضفايرها طل القمر.. ومن بين شفايفها ندى الورد بان»!

جانى هاتف إن الكلام الفارغ اللى كتبته ونسيته فى دوشة الجواز والسفر مش هيليق على صوتها.. وفكرت أن أعود من حيث أتيت.. لكن حفاوة خالد صالح شقيق مدحت وصديقى أنستنى ما أفكر فيه مؤقتًا..

كنت قد تعودت أن المطربين - النساء منهم تحديدًا - مش متعودين يحفظوا الكلام.. يعجبهم اللحن.. وبعدين فى الاستوديو يقعدوا يحاولوا يحفظوا أى كلام.. وممكن ما يحاولوش يفهموه أساسا.. ونادرا ما كان هناك مطرب يهتم بكلمات الأغنية قبل تلحينها.. باستثناء حالات معدودة مع الحجار مثلا، فهو مطرب لا بد وأنه يحب ما سيغنيه أولا، وممكن كلمة تقف فى زوره فما يغنيش حتى لو اللحن حلو..

دخلت الاستوديو وأنا فى حالة لا تفسير لها سوى أنى مش على بعضى.. فالمطربة هدى عمار لم نكن قد تعاونا من قبل.. ولم أكن التقيتها سوى فى سهرة عابرة بمنزل فاروق الشرنوبى وما اتكلمناش أصلا.. يعنى فكرتى عنها رغم عشقى لصوتها مبهمة تقريبًا..

سمعت أغنية المقدمة والنهاية.. وجلست أنتظر حضورها.. وبمجرد أن دخلت فوجئت بطفلة فى مدرسة ابتدائى.. جاية مذاكرة كل الكلام.. وعارفة المسلسل بيتكلم عن إيه.. وكل حلم إيه حكايته.. مش كده وبس

لأ.. ودورت على باقى شغلى.. واندهشت إنها سألت عن تليفونى لتسألنى فى بعض التعبيرات التى توقفت أمامها، لكنها لم تستطع الوصول لى بسبب سفرى واستعانت بطارق فؤاد:

«أنا ما كنتش هنا..

ولا انت كنت هناك

وتهنا من بعضنا..

ومن يومها بستناك»..

غنتها هدى كما كنت أحلم وبشكل أفضل مما كنت أنتظر ثم خرجت من الاستوديو لتسألنى «مين اللى يتشعلق فى مين.. الشط ولا الغرقانين».. ودى جبتها منين دى؟!

وانتهى التسجيل وظلت هذه الأغنيات القصيرة متعتى لفترة طويلة حتى بعد عرض المسلسل.. وظللت أستغرب كيف لمطربة مثلها لا تكون فى مقدمة صفوف مطرباتنا ولماذا تغيب كل هذه الفترات؟!

هى ابنة معهد «الكونسرفتوار» مثلها مثل أنغام.. لكنها درست آلة فرعونية نادرًا ما يهتم الموهوبون بها وهى آلة «الهارب» – شىء غريب يمكنك أن تلاحظه فى صوت هدى فهو أقرب لـ«الهارب» فعلا.. هى ابنة القاهرة الكبرى.. بنت مدينة الجيزة بالتحديد.. مواليد السبعينيات من القرن الماضى.. وعرفها عمار الشريعى عن طريق مسابقة كان قد أقامها لاختيار فريق جديد يعيد به أمجاد فرقة «الأصدقاء» التى تفرق أعضاؤها.. علاء عبدالخالق ومنى عبدالغنى وحنان، لأسباب مختلفة.. ويوم المسابقة جاءت متأخرة وكادوا يرفضون دخولها.. ورغم أنها كانت آخر الحضور إلا أنها كانت الوحيدة التى اختارها الشريعى وتبناها وقدمها لمحسن جابر لينتج لها أول ألبوماتها..

صوت هدى الدرامى جدا والحالم جدا جعلها من المطربات القلائل

القادرات على الغناء فى السينما والمسرح.. ورغم مشاركتها فى غناء تترات «هوانم جاردن سيتى» و«ريش نعام» و«الفسطاط».. وفيلم يوسف شاهين الشهير «إسكندرية- نيويورك» إلا أن مشاركاتها تظل محدودة جدًا.. وكان من المفترض أن تشارك فى عمل مسرحى للأطفال تعود به من جديد إلى الساحة، لكن هذا لم يحدث والأسباب غير معروفة كما هو معتاد.

هدى عمار التى عرفتها شخصية ودودة جدًا.. ومثقفة جدًا.. ولم أشعر أنها مغرورة أو «منفسنة» مثل معظم مطربات هذه الأيام.. لكن يبدو أنها لا تجيد صنع علاقات عامة مثل أخريات.. هى لا تتحدث على الإطلاق عن حياتها الشخصية حتى إنك لا تعرف إذا كانت قد تزوجت أم لا.. ولا تعرف - كما يحدث دائما - هى بتصيف فين أو بتشتى فين.. ومتخانقة مع مين ومتصالحة مع مين. لقد حبست كل ما هو شخصى عن الناس واختفت وكأنها لا تريد من هذا العالم شيئًا..

آخر ما أعرفه عنها.. إنها لا تتوقف عن البحث عن أغنية جديدة.. ربما تمنحها فرصة العودة بالطريقة التى تريدها لنفسها.. لكنها وللأسف تنتظر من يفعل ذلك بدلا منها.. ما زالت فى نفس حجرتها الصغيرة.. فى منزلها الصغير تغنى أغنيتها الأولى «قلبى الصغير» فى انتظار ما لا يجىء.. لكن هذا المنتظر لن يفعلها - من وجهة نظرى - إلا إذا خرجت من عزلتها الإرادية واستخرجت عنادها الذى أعرفه وواجهت ذلك القبح الذى حاصرها وحاصرنا من كل النواحى.. هدى عمار نحن فى انتظار «صوتك».. لأننا لا نملك رفاهية أن تختفى ««سبحة الترانيم» لوقت أطول.

ياسر عبدالرحمن..
الإمبراطور

من ٢٥ سنة بالتمام والكمال.. كان ممدوح الليثى السيناريست المعروف أهم رجل فى ماسبيرو بعد صفوت الشريف.. ليس لأنه مؤلف مشهور.. ولا لكونه رئيس قطاع الإنتاج.. ولكن لأنه لم يكن يستطيع أحد أن ينفذ إلى شاشة التليفزيون «العربى» إلا من خلاله.. كان رجلاً محترفا يعرف من أين تؤكل الكتف.. يعرف كيف يعمل كل من هم تحت إدارته بالطريقة المثلى التى تجعل من تلك الشاشة الأهم والأعمق والأكبر فى الوطن العربى.

طب مين يقدر يخلى راجل بالقوة دى والنفوذ ده يسيب مكتبه الفخم فى ماسبيرو.. وياخد بعضه ويروح لحد ستوديو «رباعيات» بتاع محمود ياسين اللى فى شارع علوبة فى الهرم.. وبعد نص الليل؟! أكيد حد مهم.. وله جبروت وسطوة أكبر من سطوة ممدوح الليثي.. مين ده؟ أقول لكم: هو ياسر عبدالرحمن.

يومها كان ٢٨ شعبان.. يعنى اللى صابح آخر يوم قبل رمضان.. وده الموسم بتاع الدراما.. بتاع كل حاجة فى التليفزيون.. وممدوح الليثى عايز التتر بتاع مسلسل «المال والبنون».. وكل ما يطلبه ولمدة أسبوع كامل ما حدش عارف يرد عليه.. وفى الآخر عرف إن ياسر عبدالرحمن مش عايز يسلم الشريط غير لما يكون راضيا تمامًا عن المزيكا اللى عاملها.. وده اللى خلى الراجل راح بنفسه لحد الاستوديو.

يومها كنت حاجز الاستوديو.. وميعادنا جه.. بس المهندس اللى فى الاستوديو اعتذر لينا بأن ياسر لسه مخلصش.. وحسيت إن الدنيا مربوكة.. وإن فيه مشكلة كبيرة.. مش عشان وجود ممدوح الليثي.. الاستوديو كله كان مليان

فنانين -وده طبيعى- المهم عرفت أتسحب ودخلت الروم كنترول لأشاهد ما لم أشاهده من قبل. عمنا ياسر طافى النور على لاعبى الكمان -الكمنجات يعنى- وواقف قدامهم فى الضلمة.. وبيشد الوتر بطريقة معينة عايزهم يعملوها، وهما مش عارفين مع إنهم أكبر ناس بيعزفوا الآلة ديه مش فى مصر بس.. لأ.. يمكن فى الشرق الأوسط كله..

المهم الكل حبس أنفاسُه.. وبدأ ياسر العزف.. وخرج «صوت الكمان» اللى انتوا سمعتوه فى المسلسل.. زى ما خياله كان عايزه بالضبط.. وخرج ليسمع ما فعل، ودخل الروم كونترول ليجد الليثى وقد فتح ذراعيه ليأخده بالأحضان قبل أن ياخد الشريط!!

منذ تلك اللحظة أدركت أننى أمام موسيقى غير تقليدى بالمرة.. كان قد بدأ حياته عازفًا للكمان.. على ما أعتقد فى فرقة عمر خيرت.. ثم قرر الاتجاه للتوزيع الموسيقى والكتابة الموسيقية الخالصة.. وبدأ بأعمال مبهرة سواء فى «أنا كنت عيدك..» أو فى ألحان وضعها لعمرو دياب «رجعت من السفر».. أو محمد فؤاد «على عيني».. قبل أن تنفجر ألحانه فى عالم الدراما.. «الوسية».. وأعتقد «المال والبنون- الليل وآخره- الضوء الشارد-الفرار من الحب» وأفلام: «الباشا والإمبراطور- ليلة البيبى دول»، وغيرها.

واقتربت من ياسر الذى يتهمه الجميع بأن «سعره غالي»، وبأنه «عنيد»، و«راسه ناشفة».. لأكتشف أننى أمام إنسان أدمن الكمنجة التى يعزفها.

كان ياسر يسكن فى شقة قديمة بميدان الباشا فى المنيل.. وكان قد تزوج من المطربة حنان ماضى وضع لها لونا من الصعب أن يتكرر.. تعامل ياسر مع صوت حنان ماضى باعتباره «آلة».. تؤدى الأدوار التى يجيد توزيعها على آلاته سواء كانت بشرية.. أو خشبية.

لقد شاهدته مرة وهو يريد من عازفى الربابة والمزمار - وكلتاهما - آلات حرة تعتمد على الارتجال، ولا توجد نوتة مكتوبة لهما، أن يعزفوا وكأنهم يقرأون

النوتة.. وهذا ما حدث.. وأعتقد أن رغبة ياسر فى التعامل مع الآلات الشعبية والمزج بينها وبين البيانو.. أحيانًا.. والأكورديون الإسكندرانى فى أحيان أخرى لا مثيل لها فى أى عمل موسيقى بالعالم.

ياسر أيضا صاحب مواسم، يعنى هو مثلا جعل من الكمان بطلاً لعدد من الأعمال فى إحدى السنوات.. ثم قرر بعد عامين أن يجعل من «الأكورديون» بطلاً.. ثم آلة أخري.. وربما من يتابع أعماله مع الأوركسترا فى الأوبرا - سواء كان متخصصا أو رجلا متزوقًا للموسيقى سيعرف ذلك.. المهم أنك أمام موسيقى من لحم ودم.

كان قد استعان بعلى الحجار ومحمد الحلو فى عدد كبير من تترات المسلسلات.. وكذلك مع حنان ماضي.. وفجأة قرر أن يقدم لنا صوت شاب اسمه عاصم فوزى.. تذكروا مسلسل سوق العصر.. وكذلك فعل مع صوت محمد قنديل فى «الأصدقاء»، وقد كان الرجل مجهدًا بشكل يصعب على أى ملحن أن يستفيد منه، لكن ياسر عبدالرحمن فعلها.

أى عمل يقدمه ياسر لا يقدم فيه صوت المطرب الذى يغني، أو الآلات التى تعزف، لكنه يقدم سيرته الخاصة.. حاول أن تذكر تلك التوليفة التى صنعها فى فيلم «حكايات الغريب» باستخدام عدد من الألحان القديمة والحديثة لمحمد منير «حلوة بلادى السمرا.. البحر بيضحك ليه» إلخ.. وشوف صوت منير وسط هذه الألحان.. ستجد ياسر عبدالرحمن.

هذا الشاب الأسمر الذى استغرقته هذه الآلة العجيبة عن الدنيا بحالها يعرف ماذا يفعل.. ويعرف قيمة ما يفعله، ولذلك هو يطلب أعلى أجر.. ويطلب إذا ما أردت منه أغنية أن يكون صاحب الألبوم كاملاً.

اتصل بى فى إحدى المرات، وطلب أن أذهب لوحيد حامد وأناقشه فى أمر «تيهات صعيدية» لفيلم يعده عن «عبارة السلام».. وافقت طبعًا.. لكننى سألته طب وأنت بتتدخل من بدرى كده ليه؟! ولم يرد.. فعرفت أنه يريد أن يصنع

حتى خيال الموسيقى قبل أن يكتب المؤلف فيلمه..

فى فيلم «عرق البلح» هناك أغنية معروفة جدا كتبها عبدالرحمن الأبنودى اسمها «بيبره»، تغنيها عبلة كامل مع شريهان ومنال عفيفى وعدد من النساء.. وهى مأخوذة قطعًا من تيمة صعيدية، لا أشك فى أن ياسر سمعها من الأبنودى أو غيره، لكن أنظر ماذا فعل بها، لقد صنع نسيجًا موسيقيا فريدًا لا يمكن أن تقول عليه «صعيدي» أو «من لواحات»، لكنه من مساحة وجع فى أى حتة فى العالم.. وهو نفس ما كرره مع رقصة علا غانم «رسالومى» فى مشهد اغتصاب العراقيات فى «ليلة البيبى دول».. وبالمناسبة استخدم ياسر الآلات ومقامات عراقية مدهشة فى موسيقى الفيلم..

هذا الشاب الذى تستغرقه التفاصيل يحبس عمره وجسده داخل «البيانو».. ولا ينظر خلفه إلا ليتذكر أنه ابن عبدالرحمن فهمى الناقد الرياضى الشهير.. وأن من صفوا أعظم سيمفونيات العالم ليسوا أفضل منه.. هو فقط ينظر إلى الأمام.. إلى «بكره» وأتحدى ياسر نفسه إن كان قد ادخر مليما واحدا مما كسب طول عمره.. لكننى أعتقد أنه صنع من الموسيقى نهرًا باسمه..

وأعتقد أننا سنحتاج إلى عدد كبير من السنوات لنستوعب موسيقى ذلك النهر.

عمر طاهر..
عرفوه بالحُبْ

من يومه نجم.. اللى يشوفه ومايعرفهوش يفتكر إنه مغرور أو مكبر دماغه، ومش فارق معاه لا حاجة ولا حد.. لكن مجرد إنه من سوهاج ده سبب كافى يخلينى أستحمل الجليطة بتاعته ونبقى صحاب من أول سهرة.

عمر لم يكن من أصدقاء الطفولة رغم أننا بلديات.. ولم ندرس معا فى الثانوية.. ولم نتزاور فى قرانا رغم وجود علاقات قرابة ومصاهرة بين عائلتينا. هو أحد أبناء عائلة «عبدالرحمن» الشهيرة بمركز طما وكان منها الوزير جلال أبوالدهب.. ومنها قائمة كبيرة من المشاهير.. والد عمر كان يعمل رئيسا لمجلس المدينة، ولذلك لم يعش هو حياة الريف أبدًا.

دخلت الجامعة فى سوهاج.. وذهب هو لكلية التجارة الخارجية بالقاهرة.. عشت فى أوضة صغيرة فى عرب محروس، وعاش هو فى أرض صغيرة بمدينة الطلبة بإمبابة.. وبدأنا العمل فى وقت واحد.. وكان أن التقينا فى جريدة الجيل مع جمال العاصي.. فى الوقت نفسه الذى تعرفنا فيه على الملحن الجميل ممدوح صلاح وجمعنا مكتبه الصغير فى أرض اللواء.

كانت سهرات مكتب ممدوح عامرة بالموسيقى والشعر والمرح أيضًا.. حمادة هلال.. سيد الشاعر.. شيرين عبدالوهاب - كانت طفلة فى وقتها - فوزى إبراهيم.. أحمد نجيب وأسامة الشريف.. ويا دوب نعدى المزلقان نلاقى قهاوى وكافيهات جامعة الدول اللى جنب فرغلى بتاع العصير.. مصطفى

كامل وحسن دنيا وعصام كاريكا وأحمد مرزوق وعبدالمنعم طه ومحمد رحيم.

جيل كامل يبحث عن فرصة تحت الشمس.. أو تحت القمر.. وكان عمر شاعرا يكتب العامية بطريقته.. لم يكن يفكر لا فى السينما ولا فى المسرح.. كتب لمطرب لبنانى لا أذكر اسمه صوته شبه وائل جسار أولي أغنياته من ألحان ممدوح صلاح.. لكن يبدو أن اللعبة لم تعجبه.. كان صديقه وصديقى عبدالرحيم كمال - بلدياتنا برضه - يبحث هو الآخر عن فرصة وعن حلم صوفى يطارده.. كان عبدالرحيم ينشد السينما.. ونادرا ما كنت تجدهما يفترقان.

أدت سخرية عمر من كل شيء.. وعلى عكس تجاربه الصحفية الجادة فى «نص الدنيا» فترة سناء البيسى التى منحته وجيلًا كاملًا فرصة العمر، راح يكتب أحلامه الطفولية بنفس الطريقة التى يكتب بها قصائده القصيرة.. وفى سنوات قليلة استطاعت كتبه أن تجذب الآلاف من الأجيال الجديدة التى كانت تسخر هى الأخرى من الواقع الذى تعيشه بنفس طريقة عمر طاهر.. الذى قرر أن «شكلها باظت» فهرب من الشعر والغناء إلى عالم السينما ليحقق فيها نجاحًا يستحقه.. «طير إنت.. كابتن مصر.. يوم مالوش لازمة» وغيرها وطار عمر.. لكن الغناء كان يشده من «قميصه» فيعود إليه على فترات.

كان رامى صبرى هو أول مطرب لامع يغنى لعمر فى تجربته الأولى «حبيبى الأولاني».. ثم فريق كاريوكي ومحمد عساف ومحمد محسن.. وأحمد عدوية.. لكن الطفل الذى يسكن بلدياتى لم يتركه فى حاله.. رغم أنه داعبه واحتواه فى «سوبر هنيدي».

عمر طاهر طفل كبير فقد شَعْره كاملًا.. واستغنى عنه بالكاب الشهير لكنه لم يفقد شِعْره أبدًا.. وأهم ما يميز أشعار عمر طاهر كثافة الفكرة وحدة الرؤية.

أذكر أننى فوجئت فى يوم بالزملاء فى جريدة «الجيل» حزانى، وكأنه مات لهم حبيب.. وعرفت أن العمال بيشيلوا المكاتب من المقر اللى فى وسط البلد لحتة مش عارفينها ورئيس التحرير اللى هو جمال العاصى اختفي!! والمرتبات

المتأخرة متصرفتش.. فقررت بتهور إبلاغ الشرطة ومنع العمال من نقل المكاتب حتى يظهر صاحب الجريدة ويدفع مرتبات الناس.. المهم وإحنا فى القسم كان معايا تليفون كبير الحجم - الموبايل كان لسه جديد - وعمر كان معاه أحدث عدة.. وأنا قاعد قدام الضباط بنكتب المحضر مكانش فارق مع عمر حاجة غير إنه يشيل «عدة التليفون بتاعى اللى شبه المسدسات القديمة.. ويحط العدة الشيك بتاعته»!

وبمجرد خروجنا من القسم حول عمر طاهر عدة تليفونى إلى أشهر موبايل فى مصر من كتر التنكيت عليه.

يعشق عمر طاهر الصحافة.. لكنه يمارسها بمنطق «طير إنت».. عمل خبطات كتير مهمة فى نص الدنيا.. ولما لم يعجبه الحال، تركها وحصل على إجازة.. لم تعد الصحافة بطريقتها الكلاسيكية مغرية بالنسبة له.. شخص غير ملول بدليل أنه ظل لسنوات يكتب عمودًا يوميًا.. فى صحف كثيرة كان بطلها الأول إبراهيم عيسي.. ورغم أن الكتابة للسينما تستغرق وقتًا طويلًا، إلا أنه «أحبها».

يمكنك أن تتهم أفلام عمر طاهر.. وكتبه «الأكثر مبيعًا» بأنها شبه «غزل البنات» حلوة بس بتدوب بسرعة.. لكنك إذا حاولت تقليده وكتابة هذا النوع لن تستطيع، لأنك لا تحبها، لا تحب من الأصل.

كتب عمر طاهر لأصالة أغنية روحانية «خليها على الله» بنفس طريقته البسيطة والمعتادة فى الحياة.. ويبدو أنه كان يتمرن، حتى تحين الفرصة ليكتب فكرته الأكبر، وهو ما حدث مع رفيق رحلته وصديق عمره عبدالرحيم كمال الذى أصبح نجمًا فى عالم الكتابة للتليفزيون بعد الرحايا وشيخ العرب همام، وها هو يحصل على الختم بأنه الخليفة بعملين كبيرين دفعة واحدة هذا العام «ونّوس.. ويونس ولد فضة».

اجتمع الصديقان فى يونس.. ومعهما أحمد سعد الملحن والمطرب الفقي..

ليطلعوا علينا بواحدة من أجمل الأغنيات التى سمعتها فى حياتي:

«لا ديا أرضي..

ولا دولا ناس..

واللى يفوته..

أهله يقاسي..

لا عدت قادر..

ولا قلبى طايق..

كدابة صورتى..

جوه البطايق..

■■■

لا ليا حيلة.. ولا لينا خاطر

عند اللى غاوية.. كسر الخواطر

ارتاح فى غيرها.. لو كنت خالي

أو جيب آخرها.. لو كنت شاطر

أحبها عمر طاهر.. وماجابش آخرها..

وماحدش فينا نحن أبناء القرى البعيدة هيعرف يجيب آخرها فى يوم.. ليس لأنها صعبة ولا مستحيلة.. ولكن لأننا نحبها.. ولا نحب سواها.

أذكر أننا كنا فى منتصف عام ٢٠٠١.. وكان عمر يشاركنا العمل فى تجربة جريدة «صوت الأمة» مع عادل حمودة.. وأمام الفيلا التى كانت مقرًا لها ـ الجريدة يعنى ـ وجدته يركن على سيارته وملامح وجهه حزينة على غير عادته.. استغربت.. وسألته إيه دى قصة حب جديدة.. ابتسم وأضاف «لا والله».. بس

قرفت من فكرة «أقساط العربية».. وفاجأته: «ولاد الناس يقسطوا عربيات ليه.. إنت بس إدى تليفون للبلد والموضوع يخلص»!!

لم تكن لدى عمر أزمة مالية.. لكن ما كان يزعجه هو فكرة الالتزام الشهرى بقسط ما.. لشخص أو لمكان ما.. هو لا يحب «القيود».. لكن الحبيبة التى ارتضينا قيودها حتى آخر نفس كيف نهرب من التزامها..

«لا البعد راحة..

ولا القرب راحة

والحيرة مرة

والقلب قايد»..

وسنظل كذلك حتى آخر نفس.

سيد حجاب..
أبونا الحلواني اسمه على بوابتها غزل

مش فاكر أول مرة شفته فين، ولا فاكر تحديدًا أول غنوة سمعتها له، ولا أول قصيدة سمعته بيقولها، مش عشان الزهايمر، ولا عشان طول المسافة، لأ، يمكن عشان هو حاجات كتير جدا، مش هو اللى قال: «منين بيجى الشجن»؟! وهو برضه اللى قال: «من اختلاف الزمن».. سيد حجاب هو السؤال والإجابة، والزمن اختلف يا عم سيد، واختلافه مش اختلاف أئمة، ومش رحمة أبدًا.

الشاعر الكبير مجدى نجيب

كل اللى فاكره إن عمنا الشاعر الكبير مجدى نجيب هو أول من نصحنى بأن أقرأ ديوان «صيّاد وجنيه» لعمنا سيد!! طبعا كنت عارف اسمه كويس، وسامع أغانيه «ياما زقزق القمرى على ورق الليمون.. وبافتح زرار قميصى، وهو الطريق هواه»، كنت عيل عندى ١٧ سنة بس كنت سامع له حاجات كتير، وعارف إنه شاعر كبير، بس ماكنتش عرفت إنه «الأسطى الحلوانى»!

خدت بنصيحة عمنا مجدى ورحت أدور على شغل سيد حجاب ومالقيتش غير بعض القصايد في مجلة كانت تصل إلينا في سوهاج بالضالين اسمها «إرضاءة»، ووجدت أن أشعاره التي تنشر بها «صعبة»، وفيها هندسة غريبة، وبالصدفة وأنا أقلب في كتب قديمة بمكتبة «مجلس المدينة» في سوهاج وجدت أربع هدايا مرة واحدة.. صياد وجنيه لحجاب،

وصهد الشتا والحب في زمن الحرب لمجدى نجيب، والأرض والعيال للأبنودي، وأكبر تار لمحسن الخياط.. استعرتهم من المكتبة ومارجعتهمش لحد النهارده، أرجعهم إزاى وأنا اليوم اللى لقيتهم فيه واحد من أجمل أيام عمري؟!

حفظت الدواوين الخمسة تقريبا، وأدهشنى مجدى نجيب بصوره وتشكيله البديع، وخطفنى الأبنودى بلغته التي تشبه ديارنا، أما حجاب فقد ذهب بى إلى عالم الجن والجنيات!! ومن يومها وكل ما تقع في إيدى حاجة ليه، أفتش عن «سحرها».

مرة لقيت شريط كاسيت وحيد باين عليه سافر سوهاج غلط.. لأنه كان نسخة يتيمة عند عم «على زكي»، ومركون في الآخر خالص من تحت، بس لمحت عليه صورة محمود الجندى، وماكنتش أعرف إنه بيغني.. أخدت الشريط وذهلت لأن به مجموعة من الأغنيات البديعة على رأسها «فنان فقير على باب الله» بتاعة عمنا فؤاد حداد، وفيه غنوة لعمنا سيد حجاب اسمها «الدنيا دى بتاعة، والناس دولهم بتوع»! وأدهشتنى مجددًا تلك الهندسة التي «ينمنمها» عمنا سيد، وتوالت فوق رأسى «ألعابه» البهلوانية، أكيد طبعا فاكرين «نفس الشموس بتبوس على روسنا» وكل إبداعات «الشهد والدموع». بالمناسبة فيه مجموعة من الرباعيات لم تذع في الحلقات سجلها الحجار بصوته وحصلنا على نسخة كاملة منها «سرقة» من مكتبة عمنا خيرى شلبي.

وأكيد فاكرين «البحر بيقول وبحر الله ما يكدبش.. يا بحر قول كلمة الحق الصريح وامشي»، وأكيد فاكرين «سوسة كف عروسة»، وأكيد برضه فاكرين «حبيبتى من بين ضفايرها طل القمر» ودى بالذات لو عمنا سيد ماكتبش غيرها «كفاه»!

وجيت القاهرة ونفسى أشوفه، أخدت تليفونه من صديق وطلبته وفوجئت بأنه يرحب بى وكأنه يعرفني، ويعاملنى بأبوة نادرة في هذا الوسط، وبعد ساعة كنت في بيته!! وبعد شهر كنت في بيته الثانى بالإسكندرية بجوار قلعة قايتباى

في حضرة الموسيقار حمدى رؤوف والمطرب السكندرى الجميل أحمد جمال – مطرب معروف وله حفلات بالأوبرا – وهو غير أحمد جمال بتاع أراب أيدول.. وحتى الصباح عمنا سيد يسمع الجميع ويضايفهم بأبوة غريبة، وبعدها بأيام كنت معه في الاستديو، أستمتع بتسجيل آخر أغنيات ألبوم «تجيش نعيش» الذي لحنه ياسر عبدالرحمن وغناه على الحجار، كلاهما كان صديقا.. لكن صاحب الدعوة كان عم سيد، واستمر التسجيل لساعات وانتهى بإفطار فول وطعمية وجرجير، ومش فاكر مين صاحب العزومة، لكن اللى فاكره أن الحجار كان يريد اسمًا للألبوم، واقترح عم سيد اسمًا وكذلك فعل ياسر، ثم جاء عامل البوفيه واقترح «تجيش نعيش» ليؤمّن عمنا سيد والجميع على رأيه، واستغربت من هذا الرجل الموسوعى الذي درس الهندسة، وتركها من أجل الشعر، ابن الصيادين الصبور مثلهم، الذي تحمل سجن نظام عبدالناصر وخرج ليغنى له حتى ينتصر مجددًا، البناء الذي سافر إلى فرنسا ليتعلم الدراما وعاد ليكتب أوبرا في بلد أكثر من نصفه يبحث عن شهادة محو الأمية، رجل يؤمن رغم كل ما عاناه بإن «الحل بسيط، حبة تخطيط»!!

عم سيد حجاب لم ينجب – في حدود ما أعلم – سوى ابنته الفنانة ريم حجاب، والأبنودى لم ينجب سوى آية ونور، والأخير كنا نناديه بالخال لأنه صعيدى مثلنا يؤمن أن «الخال والد»، لكن حجاب نناديه «يابا»، لأنه وفى عرف معظم شعراء جيلى والجيل الذي سبقنى والجيل الذي تلانى «والد الشعرا».. لأنه بالفعل يمارس أبوته لكل من يطلبها، وبالمجان، لا ينتظر أن تقابله ببنوة مماثلة، وهكذا يفعل جيل كامل من الفنانين في الدراما، والفن التشكيلي.

كنت إذا ذهبت فجرًا إلى روف فندق أوديون في وسط البلد، أجد ترابيزته في المنتصف، يجلس عليها أحمد زكى وصلاح عنانى ولطفى لبيب ومحمود حميدة وطارق لطفى ومحسن حلمي، أقول الأسماء بلا توصيف فجميعهم نجوم، وغيرهم، وفى ليلة تالية تجده مع إبراهيم داوود وسعيد صالح ومحمد كامل وأحيانا ماجدة الخطيب، وساعات مطربة سورية اسمها ربا الجمال –لا أعرف

أين هي الآن – وممكن تلاقى حد من السودان، أو من فرنسا، أو من دمنهور!! وفى كل مرة تجلس فيها معه لا بد أن تمضى وكأنك قد قرأت عشرة كتب مرة واحدة.

الشاعر سيد حجاب

كنت في بيته في «صقر قريش» منذ سنوات، في صومعته، استمع إلى تسجيل خاص لتتر مسلسل يغنيه مدحت صالح، أعتقد أن مؤلفه محمد صفاء عامر واللهجة صعيدي، ثم أسمعنى تتر مسلسل آخر يغنيه محمد الحلو – واللهجة سواحلي – فالأحداث كانت تدور في بورسعيد، وكان من المنطقى أن أسأله هو انت بتاع فولكلور يا عم سيد؟! ولم يضربنى الرجل بعصاه، لكنه شرح لى علاقته باللغة، واللهجة، وبالظروف الاجتماعية لكل شبر في مصر.

سيد حجاب، الحلواني، اللى عمل «بابا عبده» من أربعين سنة كاملة، واللى كتب «ماتسرسبيش يا سنينا من بين إيدينا»، صاحب «الأرابيسك»، وابن عم الأراجوز، واللى علمنا إننا لازم نبص:

بص، بص شوف

شوف الناس والظروف

يمكن تلقى الديابة

لابسة فروة خروف».

عم سيد اللى الحمل زاد عليه ومش قادر «يتّاخر» هو نفسه اللى بيعشق «بنت اللذين».. هو نفسه اللى شحنا بالأمل وكتب ديباجة دستور لبلد لا يعرف أنه يعيش بيننا شاعر كبير «اسمه على بوابتها نزل.. ولا زايل أزل»..، لكننا مثله سنظل ننادي، «افهم يا بن المدارس» وسنظل نناديه: «أبونا».

رياض الهمشري..
بفرد ضلوعي لحد جرحك يا صديق

لم أكن أعرف أنه نفس الطفل المعجزة الذى كان يغنى فى حفلات الجيش على الجبهة مع العزبى ومحمد رشدى، ولم أكن أعرف أنه مطرب من الأصل.

لكن شغفى باقتناء الألبومات المهجورة من محلات العتبة وشبرا التى كانت منتشرة بكثافة فى عام ٢٠٠٠ أوقعنى فى ألبوم اسمه «حبيبتى».. كانت أغنياته من ألحان فاروق الشرنوبى وآخرين، منهم رياض الهمشرى نفسه.

استغربت ألا يصبح صاحب هذا الصوت مطربًا كبيرًا، وملامح وجهه كفيلة أيضا بأن تجعله نجمًا.. يعنى مساحة القبول عنده كبيرة.. فلماذا لم يحدث ذلك؟! ولم يجبنى أحد سوى بأنه حاول لكن «السوق» لم تجد فيه «فتى المرحلة»، فقرر أن يكمل رحلته كملحن.

وصدر ألبوم لما «الشتا يدق البيبان» للحجار، وحاز نجاحا مبهرا فى كل الأوساط، كانت التنويعة الموجودة داخله كفيلة بأن تجذب له شرائح شتى إضافة لشريحة المثقفين التى اعتادت فى حياتها ألبومات الحجار ومنير فى كل الأحوال.. وكان أن فوجئت بأغنية «انكسر جوانا شىء»، ووجدت اسم بهاء الدين محمد مؤلفا، ورياض الهمشرى ملحنا، ويبدو أن حالة شخصية كانت تطاردنى وقتها جعلتنى أركز مع الأغنية، لدرجة أننى انتبهت إلى «عيب فنى» فى تسجيل صوت الحجار فى أحد مقاطعها، وفى إحدى السهرات التى جمعتنا لم أستطع مسك لسانى فأخبرته بذلك، ورميت العيب على رياض، فضحك الحجار وكأنه أمسكنى متلبسا بالكذب «يا راجل عايز تجاملنى على حساب

الراجل الطيب».. وأكمل:

«أولا ده مش عيب فنى.. ده نشاز.. انت عايز تقول كده بس ما حبيتش تضايقنى.. اللحن رائع ومغرى.. كل اللى حصل أن إحنا كنا بنسجل فى استوديو «مباير» اللى ف ش معمل السكر بجاردن سيتى.. ونفس العمارة فيها شقتى القديمة.

ونفس اليوم اللى كنا بنسجل فيه كان يوم طلاقى، لا داعى لذكر اسم الزوجة وكنت مخنوقا ومتأثرا، وحاول رياض تأجيل الاستوديو.. لكننى رفضت ودخلت غنيت.. ولأننى بكيت وأنا أغنى خرج صوتى بهذا الشكل.. ولأنه بشكل علمى لا يمكن الحصول على نفس الإحساس ده مرة ثانية.. رفض رياض الهمشرى والموزع إعادة المقطع:

«انكسر جوانا إيه..

قلبى بيحاول يسامح

انكسر مهما نداريه

بابتسامة حب طارح.. إلخ.

وعموما هو نشاز من وجهة نظرى لكن الموسيقيين لن يعتبرونه نشازا لإنه «شيء مش ملحوظ»، وكان من الطبيعى أن أتابع رياض الهمشرى فى أغنياته لجيل كامل من أول نور المهنا بقدراته الصوتية المبهرة وحتى محمد هنيدى اللى مش بيغنى أصلا فى كامننا»!!

نجح الهمشرى فى أغنيات السينما «صعيدى فى الجامعة الأمريكية مثلا» مثلما نجح فى أغنيات المسرح والكاسيت.. أغنياته للجنس اللطيف لا تختلف عن أغنياته للرجال.. للعرب مثل المصريين.. وكان لا بد إنى أشوفه.. وحدث أن كنت مع صديقى الشاعر إبراهيم عبدالفتاح، وجاءت سيرة رياض، وعرفت أنهما يسكنان معا فى شقة بشارع الحجاز فى المهندسين، وعزمنى إبراهيم للسهر

معهما والتعرف على رياض.

أول يوم شفته شعرت أننى أمام نموذج متكرر للموهوبين الكبار.. طريقة استقباله لضيوفه.. تعاملاته مع المكوجى والسايس والبواب.. مناخيره المرفوعة فى وجه منتفخ أراد استغلاله.. وأيضا فوضويته.

وشعر رياض أننى أراقبه فضحك.. وقال.. مالك؟!

قلت مش عارف ليه حاسس إنك بتقلد عم بليغ فارتبك.. وأضاف: «أنا فى العادى مش بقلد حد.. ممكن أكون تلميذا لعبدالوهاب والموجى وبليغ، بس أتحداك تلاقى عندى حرف من حد منهم.. وقاطعته «ياعم أنا بتكلم على الفوضى اللى إنت عايش فيها دى مش على ألحانك.. فخر على الأرض من شدة الضحك.. ثم أكمل «ربنا يستر» كان بليغ وقتها قد تورط فى حادث سميرة مليان، وكان رياض يمر بأزمة زواج ثان لم أكن أعلم تفاصيله.

واعتدت أن أذهب لشقة رياض.. وأسمعه ويسمع ما أكتب.. أشاهده وهو يلحن مجموعة أغنيات كان المفروض أن يغنيها إيمان البحر درويش، حاول رياض أن يمزج فيها بين القديم جدا والأشكال العصرية فى الموسيقى.. كانت تجربة أكثر من رائعة.. لكن إيمان تهرب من التجربة لأسباب غير مفهومة.. فقام رياض بغناء أحد ألحانها بعد أن قام عبدالفتاح بتغيير الكلمات من «يا قمر يا بعيد» إلى «يا هوى المواعيد».. وباقى الكلام للأغنية لا يزال عندى.. وشاهدته وهو يلحن أغنيات لنجوم الخليج.. فى نفس الوقت الذى يلحن فيه كلمات متجاوزة ومدهشة مثل «لفرد ضلوعى لحد جرحك يا صديقى» التى غناها مدحت صالح، ويلحن فى نفس الوقت «ليلة يا ليلة» لهشام عباس، وانفجرت موهبة رياض لألحان لفضل شاكر وراغب وشيرين عبدالوهاب «جرح تانى» على سبيل المثال، ثم اضطرته الظروف بعد عدة أحكام قضائية للهجرة إلى بيروت والإقامة هناك، فى البداية عند أصدقاء له، ثم توالت عليه طلبات المطربين، فاستقل بسكن خاص به، لكن ظلت فكرة عدم قدرته على

العودة أمرا مزعجا لا أعرف بالتحديد ماذا حدث.. ولا كيف صدرت هذه الأحكام.. وهل كانت وحدها سبب هجرته أم لا؟ لكننى أعرف أن ما توقعته معه منذ ٢٥ سنة حدث، ولم يهنأ هذا الملحن النادر بحياة مستقرة منذ كان طفلا يغنى ألحان سيد درويش وحتى وافته المنية فجأة فى غربة لم يكن يريدها.

أحمد إسماعيل .. مصر
اللي جايبة الشجر من زمان

اللى ماراحش طلعت حرب مش مثقف.. واللى ماقعدش على زهرة البستان مش مخاوى جنية.. الكلام.. ده اللى طلعنا لقيناه... وده الدرس اللى حفظناه... وده العمر اللى ضاع وإحنا شايفينه.. وبنضحك ومش فاضل منه غير شوية ذكريات وكام قصة وحكاية فى كتابات مكاوى سعيد وخالد إسماعيل وإبراهيم عبدالفتاح.

زهرة البستان ليست مجرد مقهى فى ميدان طلعت حرب.. لكنها «البوابة» التى مر منها محمد عفيفى مطر وإبراهيم عبدالمجيد وصنع الله إبراهيم، وخيرى شلبى وإبراهيم منصور.. هى «الرحبة» والبراح اللى ساع مجدى الجابرى وخالد عبدالمنعم ومحمد الحسيني، ويسرى حسان ومحمود الحلوانى ومصطفى الجارحى وطاهر البرمبالى.. عشرات من جيلى والجيل اللى قبلى إنهم ليسوا مجرد أشخاص.. أو أسماء تحمل تاريخ حامليها وتلقى بها على صفحات بيضاء اسمها الصحف.. هى أعمارنا.. أجمل أعمارنا.. نزواتنا.. خيباتنا.. أفراحنا القليلة وتجاربنا العاطفية الفاشلة.

يمكننى الكتابة حتى عشرة أيام قادمة عن «زهرة البستان» لكننى لن أفعل.. بى من الوجع ما يكفى.. فقط أشير إلى أنه المكان الذى وجدت أحمد إسماعيل يجلس فيه لأول مرة عام ١٩٨٩.. كان مجرد فتى نحيل يبتسم بمودة للعابرين

وفى حجره «عود».

عرفت أنه من أهل الموسيقى.. وحتما سيذهب بعد قليل إلى أتيليه القاهرة ليغنى لنفر قليل هناك.. وحتما هو يغنى أشعارًا ليست مثل أغنيات الراديو والكاسيت.. لكننى لم أتخيل أبدًا أنه «حارس البير».. بير فؤاد حداد الغويطة.

كنت مثل كل «الصعايدة» القادمين للبحث عن فرصة تحت عامود فى شوارع بنت المعز.. أحفظ مسحراتى عمنا فؤاد من الراديو.. من صوت سيد مكاوى.. وكنت قد حفظت الحضرة الذكية من قريبى د. أحمد أبورحاب.. فقد قرر أن يحفظها أطفال العسيرات الذين وقع عليهم اختياره لتكوين أول فرقة كورال أطفال فى قرية بالصعيد.

وكان عمنا خيرى شلبى قد أهدانى أحد دواوينه بتوقيع خاص منه.. ما زلت أحتفظ بالديوان والتوقيع حتى الآن لكننى لم أكن قد وقعت فى غرامه وصرت من مريديه بعد.. كان جابر أبوحسين هو «شيخى» والأبنودى وحجاب وفؤاد نجم رفقاء طريق.. كنت أرى صعوبة فى «فهم» فؤاد حداد.

فى تلك الليلة التى طالت حتى صباح اليوم التالى.. سافر بى أحمد إسماعيل إلى غزة وهو يغنى «ازرع كل الأرض مقاومة».. وفتح لى «شبابيك على نيل الشعب» وهو يغنى «يا شعب يا معلم».. لكن تحفته «مافيش فى الأغانى كده ومش كده» ظلت تلاحقنى لأيام.. وكلما رأيته أستعيد غناءها.. وكنت أتوقف كثيرا أمام:

«يا مصر اللى جايبة الشجر من زمان.. وشايلة الضفاير على البرتقان!».

ومرت أكثر من أربعة أعوام وصدر لى أول ألبوم غنائى مع على الحجار.. وصرت مسكونا بوسط البلد.. أنتهى من عملى فى الخامسة بشارع ماسبيرو ثم أذهب إلى المقهى.. وأظل حتى الصباح.. أنتقل من شارع إلى آخر ومن «ركنة

إلى أخرى».. من ندوة.. لقعدة.. لحفلة.. لرحلة سفر.. وفى كل مرة آراه أسمع منه لحنا جديدا لكلمات جديدة لفؤاد حداد.

عرفت أنه من الجيزة.. من ميدان الجيزة تحديدًا حارة صغيرة فى شارع زحمة بالقرب من مستشفى أم المصريين. وأنه ابن جيل خالد يوسف وجمال بخيت واتحاد الطلبة.. وأنه قاسم أساسى فى ندوات ومؤتمرات كل قوى اليسار.. وأنه حاول الغناء وسجل ألبومًا «على قده» به أغنياته الخاصة.. لكن هوجة الكاسيت و«فى السكة شفت اتنين ماشيين مع بعضهم» لم تسمح له بأن يمر.

سنوات والرجل يمد يده فى «شجرة فؤاد حداد»، وتلامذته، ويعصر لنا «قمر دينه».. نفطر ونتسحر.. والشهرة تبتعد عنه.. ترفضه.. هو فقط فى كراريس المثقفين فى القاهرة بيروت وعمان والجزائر وفلسطين التى غنى لها كثيرا.. ودون أن يقصد تسللت «مافيش فى الأغانى» إلى أحد أفلام صديقه خالد يوسف فى مشهد يجمع إبراهيم عيسى ومى عزالدين، ثم نجحت أغنياته فى «دكان شحاتة» ليسأل الناس عن هذا الصوت.. وعن سر هذا اللحن المختلف.. عن سر ذلك الوتر الموجع.. فكان حتما أن يكشف خالد يوسف عنه فى «كف القمر» بواحدة من أشهر وأحب أغنيات جيل كامل اسمها «يا طوبة خضرا.. وطوبة حمرا.. وطوبة.. البنّا يضرب فيها بالموال».

نجاح «كف القمر» وأغنيته.. سبقه وجود مكثف لأغنيات أحمد إسماعيل بعد انفجار ٢٥ يناير.. فالجماهير التى لم تكن تعرف يعنى إيه ثورة لم تكن تعرف ماذا تغنى فى الميدان، ووجدت نفسها مرغمة تذوب فى ألحان أحمد إسماعيل «ارفع راسك فوق.. أنت مصرى».. والشيخ إمام ومارسيل خليفة ومحمد منير وعلى الحجار.. وكالعادة كان أحمد إسماعيل بشحمه ولحمه فى الميدان.. ومن الطبيعى أن تبحث برامج الفضائيات عنه، وظن الرجل أن الجماهير قد عرفت طريقها أخيرًا إليه.. لكن الجماهير عادت بإرادتها أو رغما عنها إلى بيوتها..

وتركت الميدان ومصر بحالها للإخوان المسلمين الذين لا يعرفون أحمد إسماعيل ولا يحبون أغنياته لأنها لا تشبه سوى «الرصيف اللى فى السيدة».. وعاد الغناء إلى موقفه المعتاد فى مواجهة الإخوان.. وكره الناس الثورة واسمها وأغنياتها.

لكنهم قطعًا أصحبوا يعرفون أحمد إسماعيل وكرسيه الخالى على ناصية شارع نخيل فى وسط البلد.

خضرة محمد خضر..
سِتْ العشق والعشاق

زى كل أولاد الريف والصعيد فى أول حياتهم فى القاهرة.. ما كناش بنرتاح فى سكن.. الأسباب متعددة والنتيجة واحدة.. وكل شوية نلم

العزال بتاعنا – وشوية كراتين «كتب وشرايط» – ونشوف حتة تانية.. ما كناش بنعمَّر مع مالك عمارة أبدًا.

من الشقق المفروشة الكثيرة اللى سكنا فيها كانت شقة فى الطالبية بالهرم.. وكان معانا فيها صبرى فواز الممثل المشهور الآن.. القادم من إحدى قرى سيدى سالم بكفر الشيخ.. والممثل الموهوب لآخر نفس فيه – أحمد قنديل – هو الآن أحد أعضاء فرقة الغد بمسرح الحكومة – على ما أظن – والمخرج على رجب – لم يكن طالبا بمعهد السينما – وكان قد قد جاء من الإسكندرية.. والشاعر مصطفى عبادة الحاصل على جائزة دبى للصحافة فى هذا العام.. وناس كتير ياما.. الشقة بتملى وتعبي.. يعنى يمشى واحد.. يجى واحد.. المهم فى الشقة دى كان بيزورنا ناس كتير شبهنا، الممثل حلمى فودة.. والممثل أحمد صادق.. والمخرج د. سيد خطاب – رئيس هيئة قصور الثقافة – وغيرهم.. وكل ليلة يتنصب مولد الشعر.. والغنا اللى كان سيده وتاج راسه الملحن الراحل أحمد شاهين – كان قد جاء من كفر الشيخ واشتهرت له بعض الأغنيات منها – بحبك أنت لداليا.. وليه يا دنيا الواحد لمحمد منير وخالد عجاج.. وفجأة عمنا صبرى فواز – وبالمناسبة هوه شاعر جميل وله ديوان مطبوع اسمه حنين للضى صدر عن دار ميريت – خدنى على جنب يقولى على سر عظيم.. إيه

الحكاية يا عم صبري.. قال «هنعمل فرجة مسرحية لشهر رمضان هنعرضها فى المؤسسة العمالية بشبرا الخيمة».. وسكتْ.. كان صبرى ولا يزال - على ما أعتقد - مجنونًا بالمسرح.. هو عشقه الأول قبل الكتابة والتمثيل.. الإخراج غوايته التى أدمنها مبكرًا ولا أظنه يستطيع التخلص منها.. المهم لم يستهونى الأمر.. وحسبتها يعنى الواحد ياخدها رايح جى على شبرا الخيمة ستين يوم.. طب يجيب فلوس منين للحكاية دي.. ولما وجدنى غير متحمس.. قال بس ما تزعلش لما أجيب شاعر تانى يعمل الأغاني.. أو أكتبها أنا.. فلم أغير شكل وجهي.. لم أهتم.. ثم ألقى بقنبلته: «طب ولو قلتلك إن اللى هتغنى الشغل ستنا خضرة محمد خضر؟!».. ولم ينتظر صبرى إجابتى فقد كان يعلم أننى أذوب عشقًا فى صوت هذه السيدة ومثلها مثل بدرية السيد وحفنى أحمد حسن.. فقد كنت طفلًا فى قريتى وأنا أبحث عن صوتها فى إذاعة الشعب.. وعند أصدقائى فى شرايط كاسيت قليلة ومسجلة من برامج زكريا الحجاوى - الذى كان قد تزوجها - ومنذ جئت القاهرة وأنا لا أعرف كيف يمكننى أن أستمع إليها وهى تغنى - وش كده.

وفى ٢٤ ساعة كنا قد انتهينا من الأغاني.. التى كانت تتم كتابتها فى نفس وقت إعداد النص الذى أعده صبرى نفسه عن قصة قصيرة لعمنا يوسف إدريس اسمها «سره الباتع».. وقبل رمضان بأيام.. كنا هناك فى مسرح شبرا الخيمة.. نشاهد البروفات.. واختلس دقائق لأسمع «خضرة» التى حفظت ألحان أحمد شاهين بسرعة غريبة.. وبسببها كنت أذهب كل يوم.. وكان العرض به أغنية يرددها الفلاحون على الشط وهم يترجون جثة بطلهم الشعبى فى أن ترسو على شاطئهم.. هذا البطل الذى يطارده الفرنساوية لكنه بسبع أرواح.. يقطعون أصابعه فتصير أصابع كل الناس بدلا منها.. يحرقون بيته فتصبح بيوت كل القرية بيته.. يحرقون القرية فيذهب للغيطان.. يحرقون الغيطان.. فيذهب إلى البحر.. ثم يقتلونه.. لكن الأهالى يأتون بجثته ويلقونها فى كل مكان على طريقة الهنود فيخرج البطل من كل مكان وقعت فيه - حبة من ريحته:

المهم كانت الأغنية تقول:

حوَّد هنا حوَّد

يا طالب الدفنة

حوَّد هنا حوَّد

لا تموت ولا تفني

ف العين دى مرسى ليك

والعين دى مرسى ليك

لما جالنا مراسيلك..

شبت عواطفنا.. إلخ.

وكل ليلة كنت أسمع خضرة وأبكي.. وأشعر أنها تبكى هى الأخري.. وفى ليلة لم تحضر خضرة وعرفنا أن زوج إحدى بناتها يعمل فى وظيفة مرموقة.. وأنه منعها من الغناء.. وأنه هددها بطلاق ابنتها لو استمرت.. ولأنه تحبه وتحب ابنتها وتحب الغناء فى نفس الوقت تخرج كلمات الأغنية من لسانها وكأنها تبكى - ناهيك عن مساحة الشجن الموجودة فى صوتها أصلاً - المهم.. عرفت أن أعضاء الفرقة كانوا قد ذهبوا لزوج ابنتها الضابط وأقنعوه أنها المرة الأخيرة.. وأن المطربة العجوز أمامها أيام وينتهى العرض.. - وخليها بجميلة - ولأن السيدة تحب المسرح والغناء كانت تعد الأيام الباقية.. وكلما نقص يوم.. زاد حزنها وبكاؤها.

ونجح العرض بشكل مذهل.. كانت تذكرة الدخول فى هذه المنطقة الشعبية لا تزيد على جنيهين لكنه أمر مدهش أن يمتلئ المسرح كل يوم.. وأن تقرر الثقافة الجماهيرية مد العرض ثلاثين ليلة أخرى.. لكن هذا لم يحدث لأن خضرة لم تستطع أن تخلف اتفاقها مع زوج ابنتها.

الغريب أننى لا أتذكر من أغنيات ذلك العرض.. وكان اسمه «المدد».. أى أغنية أخرى غير تلك التى أشرت لها سابقا رغم وجود عشر أغنيات أخرى تقريبا.. وللأسف ضاعت الألحان برحيل الملحن الجميل أحمد شاهين.. وأعتقد أن نجاح صبرى فواز فى أفلام خالد يوسف.. ومسلسلات رمضان وآخرها أفراح القبة والميزان اللذان يعرضان الآن.. كفيلة بأن تنسيه مش بس الأغاني.. لأ.. وشبرا بحالها كمان.. لكننى أعتقد أنه لن ينسى صوت «خضرة محمد خضر».. وذلك الطفل الذى كنا نشاهده مشدودًا إلى خشبة المسرح ينظر إليها كل ليلة ونستغرب.. هذا الطفل أصبح نجمًا الآن.. تشاهدونه كل ليلة وهو يقطر فنًا فى مسلسل المغنى وهو يؤدى دور شبيه الكينج المهووس به.. واسمه «محمد عادل» والذى أعتقد أنه نجم الأيام القادمة بلا منازع.

محمد الحلو..
أحسن واحد يتنصب عليه في العالم

فى الأول كنت فاكر أنه إسكندرانى، لكنه فاجأنى انه أصلا من المنصورة، واتربى فى أسيوط، وأنه من شارع محمد على، وأنه مش فاكر عدد الشقق اللى عاش فيها من كتر ما اتعود على عدم الاستقرار فى مكان واحد، زيه زى كل أولاد عائلة الحلو، أشهر عائلة فى عالم السيرك المصرى.

اسمه محمد الحلو، لكننى أسميه «أبوآدم»، هو من اختار اسم آدم ليطلقه على ابنه محمد بعد أن قرر احتراف الغناء مثل أبيه، وإذا كان آدم أبوالبشرية، فمحمد الحلو أبوآدم فى الطيبة، أحسن واحد يتنصب عليه فى العالم، حتى لو ادعى أنه مش كده.

ورغم إيماننا المسبق بأن كل من عاش فى شارع محمد على أو حتى عدى من قدامه يبقى «دقرم» وماحدش يغلبه، ورغم الشهرة المدوية لأهل الموسيقى فى أنهم فى الفلوس مايعرفوش حد وصعب يتغلبوا، إلا أن محمد الحلو، مش كده أبدا، ويمكن علشان كده ماعملش فلوس وهو «الألفة» بين كل أبناء جيله من خريجى فرقة أم كلثوم.

حكى لى مرة بعد أن صرنا أصدقاء وعملنا معا فى أكثر من أغنية، أنه عندما كان يغنى هو وعلى الحجار ومنير وعمر فتحى فى فرقة واحدة فى ملهى ليلى بشارع الهرم، فى السبعينيات من القرن الماضى، كان اسمه «شاليمار»،

اتفقوا بناء على رغبة الحجار أنهم ما يقبلوش نقطة، يعنى الفقرة بتاعتهم ماحدش يقوم يرقص ولا ينقط!! المهم عملوا كده كام يوم، وفجأة انفجر عمر فتحى وقرر أنه ينزل ياخد النقطة اللى بتترمى عليه واللى مش عايز مایاخدش، ويكمل الحلو، اتزنقت طبعا، إحنا مش معانا فلوس، ولسه ماعملناش لا كاسيت ولا نيلة، وعمك بليغ راكنا جنبه كذا سنة، صحيح كان بيعمل لنا أغانى وكل يوم نردحله ونقعد فى مكتبه اليوم كله، لدرجة إن كان فيه كنبة، اللى يتعب فينا يقعد أو ينام عليها والباقى يفضل واقف، يعنى الحالة كانت صعبة والفلوس اللى بتترمى علينا وأخوك الحجار رافضها مش قليلة، وأنا مش ممكن أصغّر على، المهم يا مولانا، جه يوم وعمك عمر فتحى عملها وحطنا أنا ومنير فى المزنقة، بصيت لمنير فقام هو التانى كاسر الاتفاق وخد النقطة، بقيت لعلى فشكلى صعبت عليه قام واخدها هو كمان.

عرفت الحلو نجما، شارك فى عشرات الأفلام، وبطولات المسرح وله ١٥ ألبوماً غنائياً، لكننى ومنذ عرفته وحتى اليوم لا أجد أنه تغير لحظة، هو نفس الرجل الطيب الذى لا يحسب لشىء أبدا، لا فلوس ولا بيوت ولا عيال، لا نجومية ولا شهرة، لم أضبطه يوما حزينا حتى وهو فى «السجن»؟!

أيوه فى السجن، الذى ذهب إليه بعد أن تورط فى كتابه شيكات بدون رصيد، لأنه شارك فى مطعم واشترى أجهزة بالأجل، ولأنه لا بتاع تجارة ولا مطاعم، المطعم خسر، وأصبح الحلو مهددا بالسجن، وقد بات ٢٤ ساعة فى حجرة صغيرة فى قسم أول مدينة نصر، وكنت معه وزميلى وصديقنا المشترك محمد عبدالله رئيس تحرير مجلة «الشباب» حاليا.

يومها رغم المحنة التى يمر بها نجم مثله، وجدته مبتسما يسخر من نفسه ومن طريقته فى إدارة المطعم والفكرة على بعضها، يحكى ويضحك من نفسه كأنه واحد تانى، ورغم خروج الحلو من تلك المحنة بسلام -يومها دفعت فيفى عبده قسطا كبيرا من الشيك وكذلك فعل صديقنا المشترك الموسيقار

أمير عبدالمجيد- لكن الحلو لم يتغير، تورط بطيبة منقطعة النظير فى عملية شراء قطعة أرض بالبحر الأحمر، وكاد يدخل السجن مجددا، لكن الله أنقذه وتم القبض على من حاولوا توريطه، ليعود مجددا ليلعب دور الرجل الطيب الذى لا يفارقه أبدا لدرجة تشعر أنه لم يتعلم من «السيرك» الذى تربى فيه سوى دور «المهرج»!

حكى لنا مرة، أن رجلا ضريرا كان يحضر إلى بيتهم فى شارع محمد على، ليقرأ كل يوم خميس عدية «يس»، ولأنه تعود على ذلك لسنوات لم يكن يحتاج إلى مساعد، هو يعرف الطريق إلى الباب ومنه إلى السلم، ثم إلى كنبة جنب باب السلم يخلع نعليه ويتربع ويقرأ وحينما ينتهى يجىء له أى فرد من أهل الدار بالموجود، وممكن ماحدش ييجى ياخد بعضه ويمشى، المهم فى يوم «عمته» نسيت تقفل على الأسد اللى فى القفص، وفيما الشيخ يبدأ القراءة زار صاحبنا، فتوقف الشيخ عند منتصف الآية وخرج يجرى، والأسد وراه، واتقلب الشارع كله.

الحلو حينما يحكى لك هذا المشهد من طفولته، يبتسم ويضحك، وحينما يحكى لك مشهد حريق اليخت الخاص به فى الغردقة، دفع فيه ما يقرب من المليون جنيه من عشرين سنة، يضحك أيضا، فلماذا لا أراه مهرجا طيبا.

صديقى محمد الحلو الذى تسرسبت السنين من بين ايديه، مثلما تسربت منا، أعتقد أنه لن يتخلى عن طيبته أبدا، ولا عن ابتسامته أيضا، وأعتقد أننا لن نتحلى عن أغنيته التى لا شبيه لابتسامتها أبدا.

وجدي الحكيم .. حارس الخزانة

كان الطريق إلى دمنهور طويلًا بالنسبة لى، لم أكن قد ذهبت إلى هناك من قبل، لكن حكايات عم خيرى شلبى عن تلك المدينة أغرتنى بالسفر فى أتوبيس متهالك ومعى أفراد فرقة موسيقية اعتادت قطع عشرات الكيلو مترات لإحياء حفلات أضواء المدينة

وهوَّنت نوادر عبدالعزيز مخيون المسافة علينا، كان يحكى لنا عن أهله وطفولته وقريته التى يعتز بها، سبع ساعات تقريبا مرت قبل أن يصعد المذيع ليقدم الحفل الأول الذى أغطيه لأضواء المدينة، و٣ ساعات بعدها مع سيد الملاح وإيهاب توفيق وآخرين، ثم عشر ساعات مميتة فى طريق العودة، وكان من الطبيعى أن يؤثر الأمر على رؤيتى للحفل ولا أنظر سوى من زاوية صغيرة لأولئك المنظمين الذين بهدلونا فى السفر وعلى رأسهم وجدى الحكيم، المشرف على حفلات أضواء المدينة، وكان أن صدر العدد التالى من المجلة بمانشيتات مؤذية لمشاعر الرجل وحفلته، وفوجئت باتصال منه يطلبنى للقائه، وتوقعت أن يعاتبنى أو يثور فى وجهي، لكنه وبمجرد أن رآنى وجدته يبتسم فى وجهى ويفتح ذراعيه ليحتضنى ويختمها بقوله «عندك حق فى كل اللى كتبته»!

هذا هو وجدى الحكيم أحد أهم حراس تراث الأغنية المصرية على مدار ٥٠ سنة، منذ قابلته فى تلك الليلة من ٣٠ سنة وأكثر وحتى رحيله عنا منذ عام مضي، جلست معه ساعتين ثم فاجأني: «أنا رايح لعمك بليغ، تيجى معايا»!!

وجدى الحكيم يعنى بليغ حمدى وعبدالوهاب وأم كلثوم والموجى والطويل وعبدالحليم حافظ وفاتن حمامة.. يعنى فهد بلان وفريد الأطرش ووردة الجزائرية وبهجت قمر، يعنى مدحت صالح وسميرة سعيد ولطيفة التونسية وعبدالله الرويشد، تاريخ طويل من العلاقات الإنسانية التى لا تذوب إذا ما طلعت الشمس.

فى الاستديو الخاص بعم وجدى فى شارع فيصل، مجموعة من اللوحات الفنية رسمها الفنان العربى حسن أدلبى لعدد من المطربين والملحنين، فيروز، بليغ، عفاف راضي، عبدالوهاب، أم كلثوم، ولوحة شرف وقع فيها بالقلم الجاف كل من مر إلى القاهرة ليصبح نجمًا، يمكنك أن تلمح توقيع راغب علامة مثلًا والتاريخ بجواره فى نهاية الثمانينيات، ويمكنك أن تجد توقيعاً من صباح فخرى بتاريخ أحدث أو أقدم، يمكنك أن تندهش وتسأل كيف استطاع «الحكيم» أن يحتوى محبة كل هؤلاء البشر «المتناقضين»، لكن السؤال الأهم كيف استطاع أن يحتفظ بأغنياتهم وأسرارهم وأوراقهم الخاصة كل هذه السنوات؟!

لم يكن الحكيم مجرد مذيع شاطر فى صوت العرب، لقد جاء الرجل من أسيوط ليصبح ضابط شرطة، هذا ما أرادته له أسرته الصعيدية الميسورة الحال، لكنه لم يكن يريد، كان هناك شيء غير محدد يدفع به إلى «الميكروفون».. كان يجيد كتابة الأشعار والقصص لكنه يرى نفسه غير موهوب فى ذلك، وكلما قرأ قصيدة لأحدهم أدرك أن ما يكتبه لا لزوم له، المهم أنه حسم أمره ودخل إلى صوت العرب وعمل فى «الموسيقى والغناء»، ومنذ يومه الأول أصبح صديقا لعبدالوهاب – نعم عبدالوهاب – وإذ كنت قد حصلت على ثقة أكبر موسوس فى عالم الموسيقى والغناء فقد ملكت الجميع.

التقيت الحكيم مئات المرات فى سهرات خاصة مع حلمى بكر، فاروق الشرنوبى وغيرهما قبل أن أعمل معه فى برنامج تليفزيونى لإحدى المحطات

العربية، وتصورت أن طريقته الودودة والأبوية ستتغير حينما نعمل معًا، لكن شيئًا لم يتغير، كان يرسل لى رؤيته للحلقة، أفعل بها ما أشاء ثم أذهب إليه، وقد غيرت تقريبًا كل ما كتبه فيضحك، ويفاجئنى «أنا كنت عارف إنك هتعمل كده»، طب إيه رأيك لو أضفنا التسجيل ده للحكاية»! فأضحك أنا الآخر لأنه أخفى عنى هذا الكنز، ولم يخبرنى به من البداية، وعادة هذا الكنز إما أغنية جديدة لبليغ لم تذع من قبل أو خطاب بخط يد عبدالحليم أو تسجيل نادر لعبدالوهاب وهو يقرأ القرآن، إلخ وهكذا هو دائمًا، وهكذا أنا أيضا.

عمرى ما رحت مكان شغل واتكلمت فى الفلوس، وهذا ما أدركه عمر وجدى من اللحظة الأولي، ووجدته يسألنى عايز كام؟! قلت مش عارف، فضحك وأضاف كنت عارف إنك هتقول كده: عموما أنا سألت عن آخر أجر ليك، وطلبت لك كذا، إيه رأيك؟! وكان ما طلبه الرجل لى أكبر مما كنت أنتظر!

وبالمناسبة دي، فيه مرة اتسرقنا، الأستاذ وجدى وأنا وكل فريق عمل برنامج «أيامنا الحلوة» الذى تحول فيما بعد إلى «العندليب»!

والحكاية أصلها أن مدينة الإنتاج بالاشتراك مع وجدى الحكيم قرروا يعملوا برنامج مسابقات لاكتشاف وجه جديد يؤدى دور حليم فى مسلسل عن حياته يكتبه وحيد حامد، وطلبنى عم وجدى لأكتب البرنامج، وعملنا لوقت طويل فى جلسات تحضيرية شارك فى بعضها دنيا كريم ومحمود بركة وآخرون، وانتهينا إلى شكل، وكتب وحيد حامد سبع حلقات من المسلسل تقريبا، والأهم أن عبدالرحمن حافظ رئيس مجلس إدارة الشركة وقتها حصل على أموال باسم البرنامج ومعديه، وسجل ذلك فى محاضر رسمية عقب القبض عليه ودخوله السجن، ولكننا لم نحصل على مليم واحد، واختفى المسلسل اللى كتبه وحيد حامد والبرنامج الذى كتبناه ليقوم مدحت العدل بكتابة مسلسل آخر، ويعملوا برنامج آخر لا علاقة لنا به، فهل غضب الحكيم؟! أبدًا، وكأن

شيئا لم يحدث.

عشرات البرامج كان الرجل يعدها ويكتبها ولا يحصل على مقابل لها لمجرد أن مطربًا سوف يحصل على لقمة عيش من ورائها، عشرات الحفلات والليالى أقامها الرجل حتى بعد أن خرج على المعاش، وجدى الحكيم لم يكن مجرد «خزنة للتراث»، لكنه صاحب فكرة، ورجل مخلص لفكرته، حتى آخر يوم قبل وفاته كان يريدنا أن نستكمل مشروع إنشاء مكتبه غنائية وطنية جديدة لماسبيرو وكان أنس الفقى متحمسًا للأمر، وكانوا قد أنتجوا ٢٧ أغنية فعلا فى بداية المشروع، ثم توقف الأمر بلا أسباب، وظل الحكيم يسأل، ولا أحد يجيب بعد أن رحل أنس الفقى عن ماسبيرو، وجاء المهدى وهيكل وعبدالمقصود والأمير، ولم يفعل أحدهم شيئا وظل الحكيم يعافر حتى توقفت أنفاسه، وبقيت حكاياته وأسراره ومشروعاته فى «الخزنة»!

محمد ناصر..
هستيريا العنف

فى أوائل التسعينيات كنت أسكن فى شارع خلف أكاديمية الفنون.. وكان الموسيقار الشاب وجيه عزيز يسكن في شقة قريبة منى.. وكان معظم النجوم الجدد من طلبة الأكاديمية يعيشون هناك.. المخرج على رجب.. النجم صبرى فواز.. كمال أبورية.. وعشرات غيرهم.. وكان من الطبيعى أن أتعرف على «وجيه عزيز».. الذى لفتت ألحانه نظر وسمع الكثيرين ومنهم محمد منير فقرر التعاون معه.

وفى شقة وجيه التقيته لأول مرة.. شاعر معجون شقاوة وتمرد.. كلمات أغنياته جديدة تمامًا.. كان ريفيًا مثلنا.. هو ليس مجرد شاعر وصديق لوجيه، لكنه بلدياته أيضًا وكان معهما المخرج الشاب عادل أديب.. كانوا يعدون لعمل مسرحى تقدمه فرقة أطفال تابعة لجمعية أهلية بالمنيا.. كانت الفكرة مبهرة.. والكلمات جديدة ومستفزة والأطفال مدهشين وكأنهم فريق سيمفونى من باريس.

كان كل ما سمعته لمحمد ناصر قبل هذه الليلة لا يتعدى خمس أغنيات أشهرها «مش نظرة وابتسامة» لسيمون.. لكن ما سمعته من وجيه وقد كان يعده لألبوم خاص به ولا يجد له منتجًا وقرر أن ينتجه من جيبه الشخصى بالتعاون مع الموزع هشام نزيه – صاحب موسيقى مسلسل الوصايا السبع – أكثر جرأة.

ثم قرر عادل أديب تقديم تجربته الأولى فى عالم السينما مع أحمد زكي.. الذى قرر أن يضم للفيلم إحدى أغنيات ناصر ووجيه:

«وإن ما قدرتش تضحك..

ما تدمعش.. ولا تبكيش..

وإن ما فضلش معاك

غير قلبك..

اوعى تخاف..

مش هتموت.. لأ.. هتعيش».

ومثلما أبهرنى ما يكتبه ناصر.. تجاوب الناس مع أغنية الفيلم.. ولا يزال من يسمعها يشعر بنفس الإحساس.. وتوالت الأغنيات.. «بقالنا كتير ما سلمناش على بعض.. نفس الإحساس عندك.. إلخ»، ولم أستغرب أن ناصر نفسه هو أحد الموهوبين الذين قدمتهم سلمى الشماع فى تجربة قناة المنوعات.. وكانت قد حققت نجاحًا مبهرًا وقت ظهورها.. وكان هو أحد عناصر نجاحها.

فى تلك الفترة لاحظت أنه «يمثل» ما يكتبه.. وأن لديه قدرات خاصة أثناء إلقاء ما يكتبه من أشعار تكمل صورة الشاعر المتمرد.. لكنه غير مأزوم على الإطلاق.. ولم تكن ملابسه تشبه أولئك الصعاليك الذين كنا نتعثر فيهم فى مقاهى وسط البلد.. بل كان يصر على أناقته بشكل ملحوظ.. ثم فاجأنى بأنه أصبح مذيعًا.. يكتب ويقدم برنامجًا اسمه «إنت أكيد فى مصر» حقق نجاحًا معقولاً.. وموازيًا لنجاح أغنياته مع وجيه الذى كان قد تعاون مع آخرين مثل مجدى نجيب وكوثر مصطفى ومحمد حسني.

وأصبح «ناصر» مذيعًا.. حتى جاءت حلقة استضاف فيها زميلنا «أشرف عبدالشافى» ليعلن فجأة توقف برنامجه!

ورغم كل مساحة التفاؤل والتحدى التى تتقاطر من كلمات أغنيات محمد ناصر.. كان هناك شيء خفى فى شخصيته لكننى كنت أظنه «اضطراب الشاعر».. فلا يوجد شاعر على وجه الأرض يثبت على حال.. ولا يوجد شاعر على الأرض تعجبه الأحوال التى قد يرضى بها كل الناس ويعتبرونها مكسبًا!! القناعة كنز لا يفنى إلا فى عرف الشعراء!! فهى مش كنز من أصله.

من هذه الزاوية فقط يمكننى فهم ذلك التحول الغريب الذى ذهب بشاعر رقيق.. حالم.. مع التنوير.. وضد الجهل والعنف والإرهاب قطعا إلى أن يكون واحدًا من مدافع الإرهاب فى الخارج.. مرة فى قناة الشرق.. وأخرى فى مكملين.. أو العكس.. يختفى الشاعر.. وتظهر الهستيريا.. يختفى الممثل الرقيق.. ليظهر ممثل آخر.. يرتدى أقنعة لم تخطر فى بال أى مخرج مسرح من الذين أخرجوا مسرحياته.

محمد ناصر مقتنع تماما - كما يبدو فى برامجه - بما يفعل.. ويظن أنه تحول لمناضل.. مثل جيفارا.. ومثل كل الشعراء القدامى.. هجر الغناء.. ليغنى - نشازًا - عن روح «المحب».. الذى كان يحلم أن يبنى بيتا - مع أطفال الصعيد - وأن يصنع من الأمل أجنحة.

شاعر كان يتعبه أننا «بقالنا كتير ما كلمناش بعض.. ما شفناش بعض.. ما سلمناش على بعض» يقف فى نفس الخندق الذى يسلم فيه الناس على بعضهم بالقنابل.. كيف حدث ذلك؟!

ربما ذهب البعض فى وقت ما إلى حد المناداة بعقاب أهل ناصر فى بنى سويف.. وربما لا يعرف الذين ذهبوا لحرق منزله هناك ماذا كتب من قبل.. للشوارع.. والشجر.. والبنت اللى بتدارى خجلها فى «الفيونكة».

وربما لا يعرفون كيف حدث له ذلك التحول، وربما لا يستطيع أحمد عكاشة ورفاقه من رجال الطب النفسى تفسير ذلك.. لكننى أعرف أن الشعراء لا يموتون مرة واحدة.. يموتون على مراحل.. وأن ما حدث لمحمد ناصر - الذى

كنت أزعم أننى عرفته – مجرد موت مؤقت.. وأعتقد أن الشاعر الحقيقى الذى يسكنه سيعود حتمًا ليغنى من كلماته:

و«إن سألوك الناس عن ضي..

جوه عيونك.. ما بيلمعش..

قولّهم العيب مش فيا..

العيب فى الضى»..

زغللت التحولات الجسام التى مرت بها مصر.. وعالمنا العربى.. معظم العيون.. وقطعًا عيون ذلك الفتى كانت من بينها.

ميشيل المصري..
قديس الليالي

أتذكر هذه الحكاية كلما استمعت إلى موسيقى ميشيل المصرى وأبحث عن السر.. من أين جاء هذا الشيخ الجليل بهذه الجملة الموسيقية الساحرة.. من أين جاء هو أصلاً؟!

عم ميشيل.. صاحب «الدقن البيضا».. والقلب الأبيض.. اسم على مسمي.. مصرى حتى النخاع.. صعيدى من ساسه لراسه.. مسلم ومسيحي.. قديم وجديد.. شاب وعجوز.. فيه كل صفات العيش الشمسي اللى الأيام كوته بنارها وخرج من أفرانها عشان يطعمنا «مزيكا مصرى».

لم أكن أصدق أن صاحب موسيقى ليالى الحلمية.. والحاج متولي.. و«لا إله إلا الله».. وعشرات بل مئات الألحان المبهرة سيلحن لي.. آه والله.. حصل!! أنا الغلبان ميشيل المصرى لحن لي.

كنت قد انتهيت من كتابة الأشعار لمسلسل تنتجه صوت القاهرة اسمه «لا شيء يهم» عن قصة لإحسان عبدالقدوس يخرجه أحمد خضر الذى أخبرنى أن عم ميشيل عايز يشوفني.. وأعطانى عنوانه فى ٦ أكتوبر.. واستغربت أن ملحنا كبيرا مثله، يريد أن يرى شاعرا صغيرا مغمورا، لا يعرفه أحد.. وكان همى أنه حتما مش عاجبه الكلام وعايز يعتذر لى بذوق.. أو هيقولى غير الكلام وأنا هرفض طبعًا ويجيب حد مكاني.. الراجل طول عمره بيشتغل مع أسماء كبيرة أهمها قطعًا عمنا سيد حجاب.. اللى عمل معاه الحلمية وأولاد آدم.. وغيرهما..

المهم وجدتنى فجأة فى حضن أب مصرى شديد البساطة والرقي.. طلب منى أن أسجل الأشعار بصوتي.. وسألنى عايز مين يغني.. قلت «الحلو».. قال «بيهرب ومالوش مواعيد».. قلت.. على ضمانتي.

حوالى شهر.. أتعامل مع رجل رغم إنجازه المهول.. سواء كموزع موسيقى لأهم أعمال عبدالوهاب وفايزة وفيروز وعشرات من جيل الشباب ربما لا يعرف البعض أن أعمال مدحت صالح والحجار والحلو الأولى معظمها لميشيل المصري.. أسس الكونسرفتوار فى الكويت وألف مئات من المقطوعات الموسيقية الخالصة.. له عشرون فيلمًا ويزيد.. والأهم وهو المسيحي.. له عشرات الألحان والمؤلفات فى الأعمال الدينية الإسلامية أشهرها رائعة أمينة الصاوي.. «لا إله إلا الله».. كانت تحيرنى بساطته وكأنه جزء من آلة الكمان التى يعزفها.. كأنه وترها بالتحديد.

حكى لى أنه من أسيوط.. وأن عائلته نصفها من المسلمين ونصفها من المسيحيين.. وأنه حينما ذهب إلى إيطاليا ليدرس الموسيقى كان المصرى الوحيد فى المعهد، فأطلقوا عليه اسم «المصري».. وأن ميخائيل يتم تحويلها إلى ميشيل فى بعض اللغات.. ومن هنا جاء اسمه.. ومن «شبرا» استمد معظم أفكار موسيقاه.. زوجته اللبنانية – رحمها الله – منحته مساحة إنسانية أخرى فتحت له نوافذ موسيقية أكثر رحابة.

هذا التكوين الإنسانى المدهش.. جعله أكثر انفتاحًا وقراءاته العميقة فى الأديان الثلاثة، فتحت ذلك السلام النفسى الهائل حتى كأنك تشعر لمجرد الجلوس إليه أنك فى حضرة الموسيقي.

المهم.. عم ميشيل خلص الألحان.. والفرقة راحت عزفت.. وما عدش فاضل غير أن محمد الحلو ييجى يغني.. «المقدمة والنهاية».. كنت قد اتفقت مع عم ميشيل أنه بس يبلغنى بالموعد وأنا هتابع الحلو.. وأجيبه الاستديو.. وأننا هنتغدى ملوحة قبل التسجيل – الحلو يحب أكل الملوحة جدًا.. وهذا ما

حدث.. وفى صباح يوم التسجيل اتصلت بمدام إيناس أم آدم.. زوجة الحلو.. لأتمم عليه يعنى من ١٠ صباحًا وأنا قاعد له.. وعلى غير عادته جاء الحلو.. وأكل الملوحة.. وأدركت أن الموضوع كله باظ.. ومش هنعرف نسجل. لكن المفاجأة أن الحلو دخل «غرفة التسجيل» بعد أن قرأ الكلام لمرة واحدة.. وكأنه سبق له حفظه وترديده عشرات المرات.. ومن مرة واحدة «يسمونها وان تيك».. كان قد انتهى من تسجيل اللحن فيما نصارع - جميع من فى الاستديو - دهشتنا من قدرته الفذة على أداء لحن صعب ومدهش كعادة ألحان ميشيل المصري.

حدث ذلك عام ١٩٩٧.. يعنى من عشرين سنة تقريبًا.. تغيرنا جميعًا.. وميشيل المصرى على حاله.. يقرأ.. رغم إصابته بتعب شديد فى عينيه.. ويسمع الموسيقى رغم آلام الأذن.. ويعزف رغم متاعب الأصابع.. وينتظرنا على مدخل «الحلمية».. التى تستعيد الدراما صورتها من جديد فى مسلسل جديد يحمل نفس الاسم.. ويبحث عن روحها فى موسيقى «ميشيل المصري».

جلابية الحنان..
محمد رشدي

فيلا أدهم.. مجرد يافطة صغيرة تكاد لا تظهر من أواق شجرة مانجو وحيدة تظللها.. لكن خلف هذه « اليافطة ».. حكاية رجل، طيب جاء من ريف دسوق في كفر الشيخ ليصبح أهم مطرب في مصر في ستينيات عبدالناصر.. اسمه محمد رشدي.

أول مرة شفته سنة ١٩٩٤.. كنت حاسس إنى قاعد مع ناظر أنفار.. عفوي.. طيب.. مضياف.. وكأنه لم يتعامل مع إحسان عبدالقدوس وهيكل

وكامل الشناوى وعشرات من عتاولة الصحافة.. مش آلاتى خالص.. أنت فقط في حضرة عمك اللى رباك في البلد.

لمدة شهرين.. استمعت إلى حكايته كاملة.. وسجلتها في ١٦ شريط كاسيت.. وبدأت نشر أولى حلقاتها ثم فوجئت بطلبى للتجنيد.

وبعد مرور ثلاثة أيام فقط في معسكر التدريب.. وجدت أحد زملائى يطلبنى لمقابلة قائد المعسكر.. فذهبت مذهولًا.. لأنه لا أحد يعرف أننى هنا سوى نفر قليل من أصدقائي.. وبمجرد أن دخلت لمكتب القائد وجدته.. محمد رشدى بشحمه ولحمه!!، كيف عرف.. ولماذا حضر.. ولسه هكمل أسئلة بينى وبين نفسى وجدت القائد يخبرنى أن عمنا محمد رشدى أحيا حفل زفافه من ٢٥ سنة فاتت، وأنه ما شافوش من يومها.. وأنه سيمنحنى أجازة استثنائية إكرامًا له.. وأمرنى أن أذهب لأردتى ملابسى

الميرى لأخرج معه.

ونحن خارجان.. أجابنى رشدى عن أسئلتى التي لم أتفوه بها.. لقد عرف من الخال عبدالرحمن الأبنودى أننى ذهبت للجيش.. وبفطرة الريفى الطيب خمّن أننى بلا أهل في هذه المدينة.. وأننى حتما سأحتاج «فلوس».. ثم مد يده في جيبه وأخرج ٣٠٠ جنيه ليعطيهم لي!!، أرجعت يده وسألت في مودة: إنت تعرف القائد؟.. ففاجأني: أبدًا.. حتى الفرح اللى هو فكرنى بيه أنا مش فاكره.. أنا معرفش أي حد.. أنا قلت آجى أديلك الفلوس وأسلم عليك وأشوفك لو محتاج حاجة!!.

يومها حكى لى رشدي.. كيف أنه وفى أول يوم له في القاهرة نزل في لوكاندة في شارع رمسيس.. في انتظار أن يقابل قريبًا له يعمل فراشًا في مكتب محمد عبدالوهاب.. وكيف أن القاهريين سرقوا «ماله القليل» الذي جاء به من كفر الشيخ.. وكيف مرت عليه أول ليلة وأم كلثوم تغنى من بعيد وهو يبكى وكأنه طفل تاه من والدته في مولد سيدى إبراهيم الدسوقى!!.

استمرت علاقتى برشدى عشر سنوات أو ربما يزيد.. لم يكن يشكو أبدًا.. كانت الأضواء قد انصرفت عنه.. وداهمه المرض.. لكن وجود الأبنودى وبليغ في حياته كان يمثل له «الحياة الكاملة».. وعندما طلبه متعهد حفلات ليغنى في عوامة اسمها «صن ست».. وجدته يبكى لأن أحدًا في هذا البلد مازال يريد أن يسمعه.. لم يسأل عن الأجر.. ولا مكانه في الأفيش.. وهو الذي أزعج عبدالحليم حافظ بجلالة قدره.. كنت أستغرب طيبته الشديدة.. وكيف لم يؤثر فيه جو «الآلاتية» وكأنه لم يتزحزح عن «ساحة الطوب الأخضر التي كان يساعد والده فيها».

يومها عرضت عليه فكرة إعادة توزيع أغنياته القديمة.. وكان المنتج محمد عبدالحليم قد طلب منى ذلك.. وكنت قد تعاونت معه في ألبومه «رمى رمشه» الذي غناه على الحجار.. طار رشدى من الفرح ورفع سماعة هاتف المنزلى

ليطلب الأبنودى الذي طلب منه أن أذهب إليه.. وبعد مفاوضات مع الخال باظت المسألة.. لم يطلب رشدى شيئًا.. فقط كان يريد أن يغنى لكن الأبنودى الشاطر طلب فتوقف المشروع ليلتقطه «عم محروس» والد نصر محروس ويقوم بطرح أول ألبوم بعيدًا عن كلمات الأبنودي.. لتغنى مصر كلها من جديد مع محمد رشدى «عرباوى.. مغرم صبابة.. وتغريبة».. ثلاثة ألبومات متتالية أعادت الرجل الطيب الذي ظن أننا نسيناه إلى مقدمة المشهد الغنائى.. بل تحمست شركات الإنتاج لتفاوضه على أغنيات جديدة مع جيل جديد من الملحنين والشعراء.. وكان آخر ما غنى من هذه المجموعة «قطر الفراق»..

قطر الفراق هذا لم يطارد رشدى إلا في عامه الأخير.. بعد أن داهمته ذكريات بليغ حمدى الذي كان قد عاد من غربته الاضطرارية ليصنع معه ومع الأبنودى مجموعة أغنيات رائعة في مقدمتها «شباكك عالي».. وكان كلما تذكره يقول لى «تصور الصغير ده.. أبوجسم نحيل ده.. جه خدنى الفجر.. شالنى على كتافه وودانى المستشفي»!!، ثم يذكر كيف أنه في يوم من الأيام قاله تعالى نروح بيروت، ولأن رشدى لم يكن يعمل حساب لأى شيء ما خدش معاه فلوس.. هحتاج فلوس في إيه وبليغ معايا.. يقولها ثم يكمل - المهم يا عمنا قعدنا على قهوة.. وعمك بليغ قالى هسيبك نص ساعة أروح مشوار وأرجع لك.. ولقيتنى قاعد.. ساعة.. اتنين.. تلاتة.. لا معايا فلوس.. ولا أعرف حد في البلد الغريبة دي.. ولا حتى ممكن أعرف أرجع.. فجأة لقيت كمال الطويل قدامي.. قالى إيه اللى جابك هنا.. قلتله ولقيته بيضحك.. «هوه عملها فيك».. المهم رجعنى كمال ومشفتش بليغ غير بعدها بشهور.. وهوه داخل الأوضة دى وبيعتذر لى ويضحك!!.

ما فعله بليغ في رشدي.. مرة واتنين.. وتلاتة.. لم يجعله يغضب منه أبدًا.. بل ظل بالنسبة له وحتى آخر يوم في حياته «أحب الناس».. وما فعله بليغ بالرجل الطيب فعلته القاهرة.. مرة واتنين وتلاتة.. لكنه ظل وحتى آخر نفس مبتسمًا وعطوفًا كأنه «جلابيه حنان تساع العالم».

«عيش وجمبري»
مع محمد منير

كنت لسَّه يادوب في أول سنة في الجامعة.. وإعلانات حفلته تملأ مدرجات وطرقات جامعة أسيوط، وعشرات من طلاب التيارات الإسلامية يمزقونها بغضب.. شعرت أننى أعرفه.. وأن حمايته من هؤلاء واجب شخصي.. وربما كان ذلك نفسه هو إحساس الآلاف الذين حضروا حفلة مع أنوشكا.. وبعد ساعتين من نهايتها اعتبرته صديقي.

بعد عشر سنوات من هذه الواقعة كنا قد انتقلنا بمجلة الإذاعة والتليفزيون إلى شارع جامعة الدول العربية.. خلف «فرغلى بتاع العصير».. وكان منير يقيم في أحد شوارع المنطقة.. بينى وبينه ثلاث دقائق.. وتعودت أن أنتهى من عملى في الخامسة.. موعد إفطاره اليومي.. وتعود أن ينتظرني.. أسمع منه وله.. في كل شيء.. عن السفر.. عن الوحدة.. عن فاروق أخيه الكبير اللى علَّمه واللى كان المفروض يغنى، وحل منير محله في تجربة أحمد منيب وعبدالرحيم منصور.. لا شيء يساوى عند منير.. تشعر أن كل شيء لا طعم له.. هو فقط يجري.. من حفل في ألمانيا.. لآخر في هولندا.. لدرجة أنى سألته مرة.. «خرجت من المطار كام مرة».. فقال لى بهدوء: «اسأل جواز السفر»! منير حياته في «جواز السفر».. يعتبر وجوده في القاهرة نفسه «سفرا مؤقتا»، وأن عودته إلى مملكته في أسوان «أمر لا مفر منه».

انتقل منير من شقة شارع العراق ليذهب إلى جاردن سيتى في شقة أكبر هي أقرب إلى «الفيلّا».. ويوم ذهابه إلى هناك كان منتشيًا.. يشعر أنه انتصر على

شيء مدفون بداخله.. قلبها تهريج «بص أنا ساكن قدامى مين.. كمال الشاذلي، عرفت بقى الملوك عايشين إزاى مش زيك هلفوت» وضحك.. يومها كان قد أصر أن يعزمنا على جمبرى بالطماطم والشطة والليمون.. يحب منير هذه الأكلة ويصنعها بنفسه لأعضاء فرقته.. الدائمين منهم على الأقل.. شريف نور.. رومان بولكا!!

يأكل ما يحب.. ويرتدى ما يحب.. ويذهب إلى حيث يريد.. لكنه دائما يفكر في الجنوب.. ربما لهذا السبب لا تغيب كلمات عبدالرحيم منصور عن ألبوماته على مدى ٣٥ سنة.. وإن لم يجدها وجد الأبنودى، وإن لم يجده أعاد توزيع أغنية قديمه من النوبة.. في كل مرة.. في كل حفل.. هو يريد أن يظل موصولاً بتلك القرى البعيدة التي غادرها مضطرًا بحثًا عن «سر» ما زال يفتش عنه حتى هذه اللحظة.

عام ٢٠٠١ تقريبًا.. كان منير نجمًا لحفل شهير أقيم تحت سفح الهرم.. وفوجئ بأحد معجبيه يصعد مخمورًا إلى «الاستيدج».. وخرجت ألفاظ غير معتادة من منير للشاب الذي ظن أنه صعد ليقتله.. وهجم الحرس على المسرح وألقوا القبض على الشاب وذهبوا به إلى مركز السموم.. وذهبوا بمنير إلى بيته.. بعدها بدقائق كنت هناك، كان معى زميلى أحمد فايق.. وبمجرد أن رآنى ارتمى في حضنى وظل يبكى لدقائق طالت وجسده يهتز بالكامل.. وكلمة وحيدة تخرج من فمه «إخواتى يا عسيري»!

لم أفهم.. ساعات ومنير يتحدث ثم يقطع الحوار ليسأل عن أخواته البنات اللاتى رأين ما حدث على الهواء مباشرة.

وتمر سنوات أخرى.. وأجلس أسمعه في نفس المكان.. على نفس الكنبة وهو يتحدث عن شقيقه الذي يصارع الفيروس اللعين.. وعيناه مشدودتان إلى كلمة سر مجهولة.

منير لا يعبأ بالمال رغم أنه قد يغالى في أجره أحيانًا.. يرفض التصوير

لمحطات كبرى بآلاف الدولارات ويقبل أن يسجل حلقة بالساعات في شقتى البسيطة في شارع السودان للقناة الثالثة!! هو منير.. يغيب بالشهور.. لا يرد على تليفوناتك.. ثم يفاجئك فجرًا وكأنه كان معك بالأمس.. يتحدث في كل شيء.. الشباب الغاضب.. الأغانى الفاسدة.. الموسيقى المتوترة.. المطلقات والأرامل.. المتعة المفقودة.. الرؤية الغائبة.. وفى منتصف جملة تشعر أنه لا يريد أن يكملها يسألنى «فضل فين.. ما قربناش نجوزه»!! لاحظ أن فضل ابنى لم يكن قد أكمل الخامسة.. ثم يكمل بأنه سيرانى قريبًا.. ثم يغيب لنلتقى بعد شهور.. وهاجس العودة للجنوب يطارده.. ربما ذلك هو السر في أنه اقترض ١٥ مليون جنيه ليبنى مركزًا للموسيقى في أسوان - رغم أنه يعرف أن وقته لن يسمح له بأن يذهب إليه - ثم يفرح لأنه سيحوله لمشروع سياحى ثقافى موسيقى تلتقى عنده وفيه كل موسيقى الجنوب.. وأن شقيقه رجل السياحة سيدير ذلك!! ثم يختفى حديث منير عن المشروع تمامًا!! ويفاجئنى بأنه باع شقة جاردن سيتي.. وذهب إلى أكتوبر.. لم يهرب من مظاهرات وسط البلد.. ولا راح يبحث عن الهدوء.. منير شخص لا يحب الهدوء إطلاقًا.. لكنه ما زال يبحث عن «السر» في أسوان.. في جامعة الدول.. في إمبابة.. وسط بنات شقيقاته.. في ألمانيا.. في الخليج الذي فوجئ أن به جمهورًا عريضًا يحبه ويحب أغنياته.. هكذا هو دائما على سفر.. وأظنه سيظل.

"فردة الحلق"
التي أنقذت مطربة منشية ناصر من الجوع!

وضع تامر حبيب سيناريو خاصا جدا تخوض به شيرين عبدالوهاب تجربتها الأولى في الدراما.. وكالعادة يتوقع المشاهدون أن تفاجئهم البطلة بقصة كفاح مهولة حتى تصعد إلى سلم الشهرة، وربما لا يفعل تامر حبيب ذلك على اعتبار أنها موضة وبطلت، لكنى وبحسم أجزم أنه لو كان كتب قصة نجاح شيرين نفسها لكانت أفضل.

ولحصد نجاحا يفوق خياله.. فالقصة الحقيقية لهذه السمراء أكثر تشويقا بكثير، ودليل حى على أن أحياءنا الشعبية مليئة بالمواهب الضخمة.

تذكرت وأنا أتابع تترات المسلسل ما أعرفه عن شيرين.. ما رأيته بعينى وسمعته بأذنى.. حكاية منه ـــ أو حكايتان بالأكثر ـــ كافية لأن تمنحها بطاقة التأهل لموقع الصدارة.

كنا في بداية التسعينيات.. رمضان كالعادة فرصة للمبدعين.. على الشاشة.. وفى سراداقات قصور الثقافة وحديقة الحوض المرصود واحد من هذه السراقات يذهب إليها أبناء السيدة.. والدرب الأحمر والحلمية للتنفس ساعات قليلة بعد الإفطار.. مع الموسيقى والساحر.. والمنشدين...

وفى ليلة رمضانية من هذه الليالى.. كانت هناك بنت صغيرة بيتها قريب جدا من الحديقة، والحوض المرصود بالمناسبة اسم لأهم مستشفى يعالج

الأمراض الجلدية في مصر، وما زال رغم سوء حالته.. والدها ساءت ظروفه الاقتصادية.. وترك للأم المكافحة ثلاثة أطفال.. كان صاحب ورشة يقيم في أحد شوارع منشية ناصر.. البنت التي لم تبلغ العاشرة صوتها حلو جدا.. أحد أقاربها أخذها إلى هناك.. للحوض المرصود لتغنى.. وقفت مرعوبة.. كل شيء هنا يخطفها من عالمها الصغير.. تخيلت نفسها نجمة.. وبدأت تغنى.. وللصدفة وجدت نفسها -ع النوتة الصحيحة- لم تخطئ.. وصفق الجمهور للطفلة التي لفتت أنظار موسيقى شاب حصل على اسمها وعنوانها.. ليأخذها إلى الأوبرا حيث سليم سحاب.

كانت في قمة سعادتها. طفلة.. يصفق لها الكبار، لكنها لا تعرف ماذا تعنى الفلوس.. ولا معنى أن الأم قد لا تجد ما تطبخه لهم.. وجدت أمها تبكى.. ودموعها الغزيرة تبلل خديها.. قالت في ضعف الفلوس خلصت.. هنعيش إزاى بس يا رب.. وردت الطفلة في براءة.. أكيد ربنا هيرزقنا.. ثم خرجت تلعب في الشارع مع صديقاتها من بنات الحتة.. كن يلعبن الحجلة.. غطيان صغيرة لعلب الورنيش.. يدفعنها بطريقة منتظمة وقدم مرفوعة، فيما تضرب القدم الأخرى ذلك «الحلق».

كانت شيرين التي تحكى لى الواقعة، وهى على باب النجومية في مدخل الأوبرا، وأنا أهنئها بمناسبة حصولها على عشرة آلاف جنيه دفعة واحدة من منتجها نصر محروس، بعد نجاح ألبومها الأول المشترك مع تامر حسنى.. كنت قد سألتها عما فعلت بالفلوس، فقالت في براءة.. اشتريت بيها كلها هدوم ليا ولأمى، ودفعت ثمن الدروس الخصوصية لأختى إيمان.. ثم أضافت: «ياض ربك ده كريم أوى».. ثم أكملت قصة لعبة الحجلة: يومها فضلت ألعب وناسية خالص حكاية أن بيتنا مافيهوش فلوس.. أنا قلت الكلمتين لأمى ومشيت.. وأنا بلعب رجل خبطت في حاجة حادة في التراب.. بميل أشوف إيه اللى عورنى.. لقيته حلق.. ماكنتش أعرف إنه ذهب.. أنا خدته وجريت ع البيت.. قلت لأمى شوفى ده.. قالتلى دى فردة حلق دهب.. منين جبتيها..

إوعى تكونى خديتها من حد.. قلت لها ببراءة أنا لقيتها في الأرض وأنا بلعب، والله ما شفت حد رماها، أمى ضحكت وخدتنى في حضنها، وبكت وهى تقول صحيح.. ربنا اللى بيرزق.. تبتسم شيرين، وتضيف: «أنا عمري ما نسيت حكاية الحلق دى.. ودايما عندى إحساس إن ربنا هيرزقنى» وانطلقت لتكمل طريقها.. الذي لم يكن سهلًا على الإطلاق.

من أول لحظة كانت تعرف أنها موهوبة.. وأنها مميزة، كان كل من يستمع إليها يدرك ذلك، ومن اللحظة التقطها سليم سحاب ودخلها في مقدمة فرقته مع زميل لها اسمه أحمد فتحى.. أحمد هذا بشر به عبد الوهاب لكنه اختفى ولم يعد له ذكر، لكنه كان سببًا في أن تحصل شيرين على أول فرصة ظهور في كليب، وأن تحصل لأول مرة على خمسين جنيهًا كاملة.

كانت فكرة الكليبات قد ظهرت في ماسبيرو على يد فتحى عبدالستار.. وجاء بعده آخرون، حتى ظهر مهرجان الإذاعة والتليفزيون، وتقدم المطربون والشركات بما ينتجون.. كان العام ١٩٩٣ وحصل طارق فؤاد بأغنيته التي كتبها زميلنا الشاعر فوزى إبراهيم على جائزة المهرجان، الأمر الذي أغرى طارق فؤاد أن يكرر التجربة فقرر أن ينتج أغنية جديدة يشارك بها.. كانت فكرة الأغنية التي كتبها الشاعر عماد صبحى تستلزم وجود طفلين يجيدان الغناء، وذهب طارق للأوبرا وهناك عثر على أحمد فتحى، وظلت البطلة غائبة، أجرى طارق مسابقة لاختيار طفلة تجيد الغناء عمرها لايزيد على ١٢ سنة. ولم يجد أحدًا واقترب المهرجان والرجل يبحث، وفجأة أخبره أحمد أن معهم في الفرقة طفلة هايلة اسمها شيرين أحمد عبد الوهاب وجاء بها ليعرف طارق من اللحظة الأولى أنه أمام موهبة خاصة.

في ١٥ شارع علوبة.. استديو رباعيات الذي يملكه الفنان محمود ياسين – صار مخزنًا للخردة الآن ولا تزال أجهزته في الكراتين بعدما تطورت الصناعة وأصبحت الاستديوهات ديجتال، في ذلك المكان وقفت شيرين لأول مرة أمام

ميكروفون عشان تاخد «تيمة صوت» دخل أحدهم ليضع لها الهيدفون.. فيما كان الملحن والموزع إبراهيم راديو يحزم حقائبه ويضع آلاته جانبًا استعدادا للمغادرة إلى ستوديو آخر، لكنه توقف فجأة بمجرد أنه سمع هذه الطفلة الصغيرة تغنى.. وقف الموزع الشهير مبهورًا وهو يردد «هو فيه كده»، وكان رد فعل عمنا إبراهيم هو نفس رد فعل معظم من استمع إليها في التصوير، وقف المخرج أشرف موسى حائرًا، فالطفلة التي تغني:

«كان نفسنا يبقى البشر كل البشر من سننا ولا يعرفوش غير اللعب ولا يحلموش غير حلمنا».

هذه الطفلة التي سمعها في الاستديو تغنى بطلاقة ها هي أمامه الآن غاضبة تبكى وطارق فؤاد يحايلها.. النجمة الطفلة غاضبة لأن مشاهدها في سيناريو الكليب أقل من مشاهد أحمد فتحى، وعبثًا يحاول طارق فؤاد إقناعها أن سيناريو الأغنية يقوم على الطفل الغائب الذي يبحثون عنه وبعد محايلات رضخت وصورت وحصلت على ٥٠ جنيهًا كاملة، أكبر أجر تحصل عليه وقتها، لكنها ظلت مغبونة لسنوات، لأن طارق والمخرج منحا زميلها أحمد فتحى فرصة أكبر منها.

بعد هذه الواقعة بسنوات كنت قد تعرفت على شيرين في منزل الموسيقار الشاب ممدوح صلاح الذي كان قد التقطها من شركة موسيقى مجهولة اسمها ١٠ نجوم في ميدان الجامع بمصر الجديدة، كان ملحنًا في بداية طريقه صنع ألحانًا لمحمد الحلو وحسن عبد المجيد ومدحت صالح وهى طفلة «بتحبي»، وتتشعلق في ربع فرصة وأخذها ممدوح لكل مكان يذهب إليه استديوهات.. حفلات.. سهرات، وفى إحدى هذه السهرات في منزل الراحل كمال درويش في أغاخان كان رجلًا محبًا للفن يذهب إليه الجميع سامى الحفناوى، فاروق الشرنوبى، وشقيقه صلاح وكان كلاهما نجمين في تلك الفترة، وكان الصغار يأتون ويغنون، وفى هذه السهرات غنت شيرين لأول مرة مع تامر حسنى دون

أن تعرف أنه سيكون غريمها وشريك رحلة نجاحها يومًا ما.

المهم أننى واحتفالًا بحصولى على كارنيه نقابة الصحفيين قرر مطرب صاعد وقتها يملك قرية سياحية في الواحات البحرية إقامة احتفال لثلاثة أيام وترك لى دعوة من أريد، وحدث ودعوت كثيرين، كان من بينهم ممدوح وشيرين والكاتب عمر طاهر والمطربة لينا الطويل، كان قد انتشر لها ألبوم «أسمر يا سمرانى» الذي قدمها فيه عمنا كمال الطويل، ولاحظت مثلما لاحظ الكل غيرة شيرين من لينا، كانت لا تترك فرصة لتغنى للجميع قدامى ومحدثين، وأدركنا أن هذه الصغيرة التي تعرف أنها موهوبة لاتحب سوى أن تكون الأولى، وإن غيرتها هذه ستكون سبب سعدها وشقائها في آن واحد.

وفى أغاخان جاءت الفرصة الأولى التي سمعها مدحت صالح وطلب من صلاح الشرنوبى تبنيها، وذهب صلاح بها إلى نصر محروس - أهم منتج كاسيت في مصر وقتها- لكن نصر لم تعجبه ملامحها العادية كان يفكر بعقل المنتج لكن شيئًا ما حدث غير كل شيء.

وقبل أن نعرف ما حدث.. نشير إلى أن نصر لم يكن هو المنتج الأول في طريق شيرين، ذهبت للجميع تبحث عن فرصتها، وهى في طريقها اتكعبلت في مطرب مصرى كان يرتدى الزى الخليجى في ملاهى شارع الهرم، ويغنى أغنيات الخليج اسمه حمدى أحمد كان البطل يملك شركة لإنتاج الأغنيات سمعها وكالعادة أعجبه صوتها وقرر تبنيها، ووقعت معه عقدًا.. وقع والدها تحديدًا فقد كانت لا تزال قاصرًا، وقام الرجل على حد زعمه في دعوى قضائية أقامها ضدها بتدريبها ورعايتها، واختار لها مجموعة من الأغنيات لكنها لم تغن منها حرفًا واحدًا، وظل عقد حمدى أحمد عبد المجيد سجنًا يحاصرها عشر سنوات كاملة لأنها وحسب العقد لم تؤد التزاماتها فيما حصلت على حقوقها كاملة، لكن نجاحها المباغت والمفاجئ مع نصر محروس أنقذها وغير كل شيء،

المحاولة الأولى للانتحار في حياة "آه يا ليل" 3

فى شتاء عام ١٩٩٦ كنت قد تعرفت على السيناريست مصطفى إبراهيم والمخرج أحمد خضر الذى اختارنى لكتابة أغنيات مسلسله «لا شىء يهم» الذى قامت ببطولته جيهان نصر.. وأبلغنى خضر أن الموسيقار الكبير ميشيل المصرى يريدنى أن أذهب إليه لأقرأ له الكلمات بصوتى.. كانت ومازالت هذه عادة الملحن القديس أطال الله عمره.. وذهبت إليه فى الفيللا التى يملكها بـ ٦ أكتوبر.

وصارت بيننا صداقة.. أستاذ كبير وشاعر مبتدئ وبينهما محبة خالصة للصعيد والموسيقى.. وبينما كنت معه حكيت له عن شيرين تلك الطفلة الموهوبة التى تريد أن تحصل على فرصة فى ماسبيرو وقد كان عضوا مهما فى لجان الموسيقى والاعتماد ومؤسسا للفرقة الموسيقية الخاصة بالتليفزيون.. وقبل الرجل أن يسمعها.

لم أكن أملك سيارة.. وكان من الصعب وغير المناسب حاليا أن استأجر تاكسى للذهاب إلى تلك المنطقة النائية وكذلك شيرين أيضا.. كنا فى عز طوبة تقريبا.. وشيرين ترتدى ملابس بسيطة وخفيفة وكان بصحبتنا زميلى خالد حنفى الذى بادر ومنحها الجاكيت الوحيد الذى يملكه تقريبا.. لم ترده إليه حتى الآن. واستقبلنا عم ميشيل بمودة.. وطرب لصوتها.. وطريقتها الفريدة فى الغناء.. لكنه فاجأنا بأن طلب أن تجلس شيرين فى منزلها لعامين على الأقل حتى لا يضيع صوتها.. وحذرها من الغناء فى هذه الفترة التى تشهد التغييرات الأهم فى أجساد وحناجر النساء.

فى الطريق من أكتوبر إلى محطة رمسيس حيث سنستقل ميكروباصا آخر لبيتها.. أخبرتنى شيرين أنها لا تستطيع أن تستمع لنصيحة عم ميشيل.

كانت قد عرفت الطريق إلى الأفراح.. والغناء فيها.. تعرفت على فرقها الكثيرة ومن أصحابها تعلمت كل الفنون وعادات الآلاتية.. وتعرفت كذلك على أول بختها.

كان مدحت خميس مجرد عازف للأورج.. لم يكن قد أصبح موزعا مشهورا.. أو دكتورا فى معهد الموسيقى.. فقد حدث ذلك فى وقت متأخر.. أحبته شيرين.. ووجدت فيه فرصتها.. وأحبها الرجل وفى منزلها البسيط وفى حضور أخوتها وعدد قليل من المعازيم جاء الشيخ ليعقد قرانها لأول مرة.. لم يكن أحد المعازيم من المشاهير.. لكن بعضهم أصبح كذلك فيما بعد.. طبخت شيرين بنفسها «كفتة» وغنت.. وغنى أصحابها.. فرحت كما لم تفرح من قبل.. لكن فرحها لم يدم طويلا.. واشتعلت الخلافات المكتومة أولا.. ثم خرج الخلاف للعلن.. وتخلصت شيرين من الحمل لتحصل على الطلاق للمرة الأولى فى حياتها أيضا.. وعلى مساحة من الندم ظلت تطاردها لفترة طويلة.

تخلصت شيرين من زواجها الأول.. وجنينها الأول.. لكن عقدا وقعته فى تلك الفترة وذكرت فيه أنها غير متزوجة ظل يطاردها لفترة.. واستغل صاحب العقد الأمر وهددها بالحبس بتهمة التزوير فى محررات رسمية.. الأمر الذى نغص عليها حياتها كاملة.. لكن أولاد الحلال تدخلوا وأنقذوها من الحبس. كان نصر يملك عقودا لمطربين مهمين وناجحين وقتها ومن بينهم أنغام... وعندما جاء محمد محيى لينضم للشركة ويقدم ألبومه الناجح «صورة ودمعة» كانت هناك أغنية «دويتو» وكان من المقرر أن تشاركه غناءها «مى كساب» لكنها وفى آخر لحظة اعتذرت وسافرت لإحياء إحدى الحفلات فى دبى.. ووضعت الجميع فى ورطة أخرجهم منها الشاعر مصطفى مرسى الذى ذكر محروس بتلك المطربة التى قدمها له الشرنوبى.. وعلى مضض قبل نصر أن تغنى شيرين.. فاتصل بزوجها فى ذلك الوقت مدحت خميس وجاءت لتنفذ الأمر.

لم يكن أحدهم يتخيل أن الأغنية ستنتج بهذا الشكل وأن شيرين ستصبح صوتا معروفا من خلالها.. فقام نصر بإنتاج أربع أغنيات لا ليضعها إلى جانب ٤ أغنيات أخرى لتامر حسنى وكانت المفاجأة أن هزمت «آه يا ليل» التى لحنها شاب غير معروف اسمه أحمد يحيى الجميع كل من كانوا فى سوق الكاسيت.. مما اضطره لتوقيع عقد على عجل مع شيرين تضمن شروطا مجحفة كثيرة لكنه

لم يشترط عليها عدم التمثيل أو الغناء فى أفلام. لكن شيرين جاءتها فرصة فيلم ميدو مشاكل.. ونجحت أغنيات الفيلم.. فقرر أن تصدر فى ألبوم.. وهنا أسقط فى يد نصر الذى اتصل بشيرين قبل أن تصعد الطائرة فى طريقها إلى الخليج لإحياء إحدى الحفلات.. ووقع معها ملحقا للعقد.. قالت لى شيرين فيما بعد إنها لم تقرأ ما فيه.. لتكتشف بعد قليل أنه يتضمن ٧٥٪ من عائد حفلات وثمانية ألبومات غنائية.. وشرطا جزائيا بمليون جنيه ونصف إن خالفت أحد البنود.. وهو ما طالبها به نصر بعد ذلك ليضعها فى ورطة لم تجد لها حلا سوى محاولة الانتحار.. ليذهب بها أصدقاؤها إلى مستشفى مصر الجديدة لتظل هناك لفترة قبل أن يتدخل أولاد الحلال لإنقاذها مجددًا.

من عرف شيرين في أيامها الأولى يدرك تماما أنها عفوية جدًا.. تتصرف بتلقائية شديدة.. لا أسرار لديها.. لا تجمل من شيء ولا يهمها أن يغضب الآخرون.. فيما بعد وبعد أن أصبحت نجمة.. غير كل شيء.. أصبحت كل كلمة محسوبة.. وكل خطوة.. وكل نبضة قلب أيضا.

زى كل البنات.. أحبت لأول مرة زميلها في الفصل.. لم يكن حبا بالقطع.. لكنها اعتبرته كذلك.. «كان اسمه حسنى.. عيونه غريبة.. عجبتنى عنيه».. وبالقطع لم يعرف حسنى أن الطفلة التي ستصبح نجمة في عالم الغناء ستتذكره.. لكنها لا تنسى أيام طفولتها.. ربما لأنها كانت تريد أن تعيشها بشكل مختلف.. لكن ظروفها لم تسمح لها بذلك.. كانت تجرى بخطوات سريعة جدا نحو «الغناء» عشقها الأول.

وفى فرقة سليم سحاب لم تحب أيا من زملائها الرجال.. بل كانت تغار منهم.. كانت تريد أن تصبح «الصوليست» حتى على الرجال.. لكن هذه الغيرة المحببة لم تمنعها من أن تحب - للمرة الثانية - وعلى طريقتها الخاصة شابًا من سنها اسمه إبراهيم.. وبالطريقة الكلاسيكية بتاعة السينما أحبت شيرين على أغنيات أم كلثوم.. كانت تسمع أغنيات عبدالوهاب التي حفظتها جميعا من والدها -

عم سيد – فقد كان يملك صوتا جميلا وعشقا خاصا لعبدالوهاب نقله دون أن يدرى لابنته، حتى طغي على جميع المطربين.. لكن الموهوبة اكتشفت عن طريق حبها لإبراهيم كنزًا آخر اسمه أغنيات أم كلثوم.. ومثلما بدأت قصة إبراهيم انتهت.. وظلت مجرد خاطر يداعبها وتضحك منه وعليه.. لكن الحب الذي ذهب بها للمأذون كان لزميلها مدحت خميس.. الموسيقى والموزع المشهور فيما بعد.. كانت قد أصبحت معروفة على الأقل في أوساط الموسيقيين.. وفى ليالى الأفراح والحفلات الخاصة.. تحلم ببيت سعيد.. وبأطفال أيضا.. لكنها كانت تخاف من المسئولية.. وكان الطرف الآخر متيمًا بها.

شيرين بنت بلد.. دمها خفيف.. وبنت نكتة.. وطباخة ماهرة أيضا.. وتتعامل مع شقيقتها الصغري إيمان وكأنها أمها «الست كريمة».. لكنها لا تريد لنفسها أن تتعرض لما تعرضت له أمها «تعب القلوب والبيوت.. كانت لا تزال شابة تريد كل شيء دفعة واحدة.. النجومية والشهرة والفلوس».. وربما – مثلما سمعت من أهل الفن – سحبتها «حياة الأسرة» بعيدا.. لكن الرجل يريد أن يعرف – رأسه من رجليه – وهى تماطل بلا حجة مقنعة.. وفى النهاية رضخت أو حسب تعبيرها «قلت أخلص من الزن» وتزوجت شيرين.. ولم تدم سعادتها طويلًا.. سنة ليس أكثر.. تركت لها الكثير من المرارات.. لكنها منحتها خبرة وقوة وعنادًا فوق عنادها الطبيعى.. ومنحت صوتها زخما وجرحا بدا واضحا في أغنياتها الأولى حتى منحها البعض لقب «المدافعة عن المرأة».

هذه الأغاني الأولى التي كتبها هانى عبدالكريم ولحنها أحمد محيى.. صارت لقبًا لها يناديها الناس به «شيرين آه يا ليل» وجاءت لها بالنجومية وبالسينما التي دخلتها مرتجفة ومرعوبة.. وخرجت منها بتجربة جديدة وأصدقاء جدد في مقدمتهم أحمد السقا وأحمد حلمى ومحمد هنيدى.. والأخير كان يصور فيلما اسمه «همام في أمستردام» ظهر فيه شاب وسيم في دور صديق أحمد السقا.. كان يعمل منظما للحفلات.. حاصل على الجنسية الأمريكية وتعرفت عليه شيرين.. ليتحدث الوسط الفنى عن «حب جديد» لم تخجل شيرين من التصريح به..

وظهرت في حلقة تليفزيونية مع هالة سرحان، لتؤكد تفاصيل الخطوبة التي جاءت سريعا.. والغريب وقتها أن حفل الخطوبة لم يحضره أحد من أهل شيرين – في إشارة واضحة لرفضهم الزيجة – واكتفت شيرين الصغيرة بوجود منتجها نصر محروس.

في تلك الأثناء لم يستغرب أحباء وأصدقاء شيرين أن تحب مجددًا.. وأن تسعى للزواج.. فهذا أمر بديهى وطبيعى جدا، لكن إعلانها أن الزواج سيتم بعد ٣ سنوات كان أمرا مدهشا.. وظهر الخطيب في كل حفلات شيرين تقريبا لمدة عام.. وفجأة وفى أولى حفلاتها الصيفية بمارينا ظهرت بمفردها.. واختفي الأمريكى الغامض الذي لم ينظم حفلا واحدا في القاهرة لتعلن شيرين بنفسها خبر انفصالها.

من الطبيعى أن يحب البشر.. العاديون منهم والنجوم.. لكن الفنانين يحتاجون للحب والعطف أكثر مما يحتاجه الآخرون.. تقلباتهم.. وانهياراتهم.. أحزانهم.. وأفراحهم القليلة تحتاج دوما إلى شريك محب.. وقد يكون ذلك الرجل أو تلك المرأة موجودا بجوارنا، لكننا لا نشعر به.. يؤدى دوره الكامل دون أن يشعرنا بأنه يمن علينا بذلك. وهذا ما كنا نشعر به جميعا في المرات التي نشاهد فيها شيرين ومحمد مصطفى معًا.

كان مصطفى واحدًا من أهم موزعى جيل التسعينيات.. شاب «جنتل» ابن ناس.. دمث جدًا.. وموهوب حتى النخاع.. يلحن أحيانا.. لكنه دوما صديق لمن لا صديق له.

وكان من الطبيعى أن نشعر بمودته لـ«شيرين».. وأن تدرك هي ذلك.. كنا في استديو هانى مهنى «جولدن كاسيت» في شارع السودان.. ومصطفى ينجز لحنًا لمطرب شاب اسمه أسامة الشريف.. وجاءت شيرين.. فالجميع أصدقاؤها.. وبدا أننا على وشك سماع نبأ سعيد لكنها أنكرت.. ولم تمض أيام حتى فوجئت بعد منتصف الليل بمن يخبرنى أن شيرين ستتزوج الليلة.

طلبتها على الموبايل دون جدوى.. فطلبت منزلها ورد والدها الذي أخبرنى بسعادة أن مصطفى طلبها للزواج من فترة.. لكنها لم تحدد موعدا.. وأن التفاصيل لديه ولديها.. فطلبت محمد مصطفى الذي فاجأنى بأنه في الطريق لبيت شيرين في المعادى - كانت شقة بالإيجار انتقلت إليها مع أسرتها عقب نجاح ألبومها الأول، وأن شيرين ستغادر بعد كتب الكتاب مباشرة إلى تونس لارتباطها بحفل هناك.. وأنها أخيرا وفيما كان يحدثها في التليفون قالت له «هات المأذون وتعالى».

وكتبت شيرين كتابها قبل أذان الفجر.. لتنطلق بعدها إلى تونس.. ومن هناك تخبرني أنها مع صديقة لها.. وأنها ستعلن زفافها بعد عودتها مباشرة.. ليستمر زواجها بمحمد مصطفى ٥ سنوات كاملة.

ما يشبه السيرة

محمد العسيري

25 ديسمبر 1967

رئيس تحرير جريدة الدستور

حاصل على جائزة نقابة الصحفيين المصريين عام 2002

حاصل على جائزة دبي للصحافة العربية عام 2003

حاصل على جائزة الدولة التشجيعية في الأدب عام 2014

عضو جمعية المؤلفين والملحنين باريس

صدر له :

للبيوت شهوة.. ديوان شعر..هيئة قصور الثقافة 1996

عتبة قديمة تشبهلي..ديوان شعر .. دار النسيم 2014

أغنية يناير ثوار ومزيفون.. دراسة دار جزيرة الورد 2011

ثنائية العزف والقتل في أغنية الربيع العربي..دراسة.. مؤسسة الفكر العربي بيروت 2015

الأغاني الممنوعة للأبنودي .. دراسة ..دار كتابي 2015

الفهرس

نهاوند.. فيما يشبه التقاسيم	٧
علي الحجار.. ورد المحبة في السنين البور	٩
«أنغام».. تُراب صوتها زعفران	١٥
وردة الجزائرية.. سكة سفر	٢١
محسن جابر.. صانع النجوم والذكريات	٢٧
«الأبنودي».. يونس في بلاد الشوق	٣٣
محمد رحيم.. قصة اللبناني صيّاد الماس	٣٧
صبري فواز.. سر النجاح المتأخر لـ«ملح البراري»	٤٣
أمير عبد المجيد.. شيخ العرب القانونجي	٤٩
ذكرى محمد..أنثى الأحلام المستحيلة	٥٣
إبراهيم رجب.. جمَلْ السيدة زينب	٥٩
إبراهيم عبدالفتاح.. ولا عمره ليلة بات فيها	٦٥
مدحت صالح.. الحاوي سليل الرفاعي!	٧١
مجدي نجيب.. وِشّ القمر	٧٥
محمد محيي.. المظلوم	٨٣
مجدى العمروسي.. الصندوق الأبيض	٨٧

هدى عمار.. سبحة الترانيم ٩١

ياسر عبدالرحمن.. الإمبراطور ٩٥

عمر طاهر.. عرفوه بالحُبْ ٩٩

سيد حجاب.. أبونا الحلواني اسمه على بوابتها غزل ١٠٥

رياض الهمشري.. بفرد ضلوعي لحد جرحك يا صديق ١٠٩

أحمد إسماعيل .. مصر اللي جايبة الشجر من زمان ١١٣

خضرة محمد خضر.. سِتْ العشق والعشاق ١١٧

محمد الحلو.. أحسن واحد يتنصب عليه في العالم ١٢١

وجدي الحكيم ..حارس الخزانة ١٢٥

محمد ناصر.. هستيريا العنف ١٢٩

ميشيل المصري.. قديس الليالي ١٣٣

جلابية الحنان.. محمد رشدي ١٣٧

«عيش وجمبري»مع محمد منير ١٤١

"فردة الحلق" التي أنقذت مطربة منشية ناصر من الجوع! ١٤٥

دلتا للنشر والتوزيع